



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور - خنشلة -



قسم اللغة والأدب العربي

شعبة: الدراسات الأدبية

التخصص: أدب قديم

الشاعر ناقدا في بيئته العربية القديمة دراسة في أحكامه النقدية وقيمتها

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستر

إشراف الأستاذة:

د - نعيمة شلغوم

إعداد الطالبة:

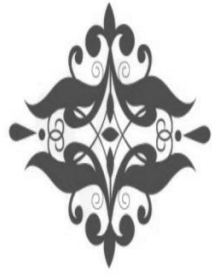
- سعيدي مروة

- نور الهدى يعقوب

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
كمال طاهير	أ-محاضر-أ	عباس لغرور - خنشلة -	رئيسا
نعيمة شلغوم	أ-محاضر-ب	عباس لغرور - خنشلة -	مشرفا ومقررا
نبيل قواس	أ-محاضر-أ	عباس لغرور - خنشلة -	مناقشا

السنة الجامعية : 2022-2023



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر و عرفان

أول الشكر وآخره لله العلي القدير الذي منحنا الصحة

والقوة والعزم لإنجاز هذا البحث وإتمامه

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذتنا الفاضلة

والمشرفة على إعداد هذا البحث

الدكتورة "نعيمه شلغوم"

التي أرشدتنا بتوجيهاتها القيمة التي ساهمت في

إثراء هذا البحث.

كما نشكر كل من قدم لنا يد العون من قريب أو من

بعيد، وكل من علمنا وساعدنا بأي شكل من الأشكال.

حقائق

مقدمة

الشعر هو الوسيلة التي عبر عنها العربي عن أشجان نفسه ، وآداته التي يرسم بها عالمه الداخلي، وهو يجابه مصاعب الحياة في بادية الجزيرة العربية القديمة ، كما يعد النقد فعالية ذهنية عقلية مرتبط ارتباطا وثيقا بالشعر، وتبعاً لذلك لا يمكن لمن يوهب القدرة على نظم الشعر وإبداعه أن يوهب القدرة على دراسته وتحليله وتمييز رديئه من جيده ، وتعد التجربة الأدبية التي تراوح بين الإبداع الشعري والممارسة النقدية ظاهرة عرفها الوسط الأدبي منذ العصر الجاهلي ، ولقد برزت في كل عصر من العصور القديمة ثلة من الشعراء النقاد الذين تميزوا بهذه السمة التي جمعت بين ثنائية (الشعر، والنقد) فأبدعوا في الشعر حيناً وفي النقد حيناً آخر.

إن ماتروم هذه الدراسة الموسومة ب : " الشاعر ناقدا في بيئته العربية القديمة ، دراسة في أحكامه النقدية وقيمتها" ؛ تهدف إلى تعريف القارئ بأهم التجارب النقدية للشعراء القدامى، وجهودهم في إصدار الأحكام النقدية التي أسهمت في تطوير وتحسين جودة الشعر وتطوير قرائح الشعراء ، التي لقيت رواجاً كبيراً في الساحة الأدبية العربية القديمة ، وقد جعلنا نتطراً إليه من أجل إبراز الحركة النقدية وقيمتها لدى الشعراء النقاد في المجال النقدي.

أما الدافع لاختيارنا لهاته التيمة النقدية ، فمرده أن تجربة الشعراء في النقد تتوفر على جماليات تزيد من شأن النقد وكذلك أهمية الموضوع من البعد التاريخي والنقدي ، لأنه قاعدة الأدب العربي في جميع العصور، والرغبة في الإطلاع على معرفة أشهر الشعراء النقاد وتجربتهم النقدية وأثرها في تطوير وتحسين جودة الشعر العربي القديم وبيان جيده من رديئه ، والرغبة الملحة في تمحيص التساؤلات الواردة في إشكالية البحث ومحاولة الإجابة عنها من مختلف النواحي.

هذه الأقطاب أبدرت في أذهاننا الكثير من الأسئلة التي لم نجد لها سبيلاً إلا بمكابدة عناء البحث متسائلين : ماهي المستويات التي ظهرت من خلالها التجربة النقدية للشعراء ؟

وهل كان الشاعر القديم قادر على القيام ب التجربة النقدية والنظر في شعره وشعر غيره ؟ وكيف مارسها ؟ وماهي الأحكام التي قدمها للنقد العربي من مصطلحات وآراء نقدية؟ وماهي قيمتها ؟.

وكل دراسة لابد أن ترمي بثقل بحثها لمعالجة إشكاليات معينة ، كذلك هذه الدراسة تستمد أهميتها من محاولة الوقوف على المستويات والتجربة النقدية عند الشعراء القدامى وإبراز الأثر الذي لعبته هذه الأحكام في تطوير وتحسين الشعر العربي القديم واقتضت ضرورة البحث أن يفصل إلى: مقدمة ، فصلين ، وخاتمة.

أما الفصل الأول: خصصناه للجانب النظري ، وقد عنواناه بمستويات النقد العربي القديم وبروز ظاهرة الشعراء النقاد ، وقد عالجنا في هذا الفصل مستويات النقد العربي القديم وظاهرة الشعراء النقاد في العصور العربية القديمة (الجاهلي ، صدر الإسلام، الأموي، العباسي) ، ثم سلطة الشاعر على النقد بين مؤيد ومعارض.

أما الفصل الثاني كان فصلا تطبيقيا بعنوان " الأحكام النقدية عند الشعراء النقاد وقيمتها " وقد تناولنا فيه التجربة النقدية عند الشعراء القدامى بداية بالعصر الجاهلي ثم عصر صدر الإسلام مروراً بالعصر الأموي وأخير العصر العباسي ثم بروز مظاهر النقد العربي التي ظهرت من خلال الأحكام النقدية ، ثم بيان قيمتها النقدية وأثرها في تطوير الشعر العربي واستجابة لدوافع الدراسة واقتضاء طبيعة الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي والنقدي لأنه الأنسب الذي سمح لنا بالكشف على الأحكام النقدية وبروز قيمتها عند الشعراء النقاد

ولانزعم أننا أول من عالج هذا الموضوع إذا وقفنا في عملنا هذا على بعض الدراسات التي تناولت نقد الشعراء وهذه الدراسة هي :

1 :عبد الجبار المطلبي ، الشعراء نقادا ، دراسات في الأدب الإسلامي والأموي، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، دط ، 1986.

وكذا استفاد البحث من جملة مصادر ومراجع منها :

1 :الأصفهاني، الأغاني، تح : إحسان عباس وآخرون ، دار صادر ، لبنان ، ط3، 2008 ، ج 25.

2 :ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ، تح: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني، دط ، 1996 ، ج1.

3 :المزرباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح : حسن شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1965.

وكأي بحث علمي هناك صعوبات وعقبات تعترضه قبل أن يتشكل في حالته النهائية وهو ما أصاب موضوع عرضنا ، فقد كانت ندرة الدراسات في هذا الحقل من جهة ، وقلة الخبرة في توظيف مثل هذه الدراسات من جهة ثانية من أكبر العوائق التي اعترضتنا ومهما يكن فهذا البحث هو الصورة التي استطعنا رسمها ، والتوصل إليها مع ما بذلنا من جهد ولسنا ندعي هنا أننا أتينا على كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع ، ولكن التزمنا بحدود المنهج الذي رسمناه ونرجوا مخلصين أن نكون قد وفقنا في بلوغ ما سعيينا إليه من غاية وإننا لنسأل الله أن تكون فائدة هذا العمل أتم وأوفى ، وأن يجد قبولا لدى القارئ المنصف. إلا أنه بالرغم من ذلك فقد كانت المشرفة الدكتورة " شلغوم نعيمة " الرائعة والتي شقت لنا الطريق ووضحت لنا الرؤية ، وكانت لبحثنا هذا خير عون في المنهج والتصور دون أن تبخل بالنصائح والمراجع والتحفيز ، فلها منا أجمل الشكر وأصدق العرفان ، وأخلص الإمتنان ، كما لا يفوتنا أن نشكر لجنة المناقشة لقبولها قراءة هذا العمل، وكذلك الشكر الخاص إلى مدير جامعة عباس لغرور المتواضع "شالة عبد الواحد"، والركيزة الأساسية عميد كلية الآداب واللغات الدكتور " رشيد بلعيفة " وإلى كل الأسرة الجامعية.

والحمد لله رب العالمين على ما قد أنابه من عون وصبر راجيين أياه أن يثبتنا على الجهد بأجري الاجتهاد والإصابة، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول:

مستويات النقد القديم وبيروز ظاهرة

الشعراء النقاد

1- مستويات النقد العربي القديم

2- ظاهرة الشعراء النقاد

3- سلطة الشاعر على النقد

تمهيد :

يعرف النقد بأنه النظرة الكلية للفن والشعر، يبدأ من التذوق والقدرة على التمييز، انتقالا إلى التفسير، والتعليل، والتحليل، والتقييم، وفق قواعد وأسس معينة ضمن منهج علمي واضح ويلاحظ أن مفهوم النقد يختلف باختلاف مجاله، فنقد الأدباء والشعراء غير نقد الفقهاء وأصحاب الفرق الإسلامية؛ «فلكل قواعده ومناهجه إلى أن المشترك بينهما هو النظر والتمحيص في النصوص لتبين عيوبها ونقائصها، ثم الحكم عليها حسب المعايير الفنية التي تدرس من خلالها وتصنيفها مع بقية النصوص وتحديد مكانتها منها»¹ وتختلف قدرة النقاد على النقد باختلاف مجالهم، وعلمهم، وأدواتهم، وملكاتهم العلمية في مفهوم النقد إلا أنهم يستخدمون مفردات مقاربة كتقييم، وردود، المناظرة والمحاورة والجدل والبحث والمناقشة، «ويظل لكل واحد ما يميزه عن غيره من أسباب النقد وأساليبه»² فالكثير من المصطلحات والمقاييس والأحكام النقدية التي وردت في المؤلفات والممارسات النقدية لدى النقاد العرب القدامى، تقوم على تأثير البيئة في الناقد بكل مظاهرها ولها دور كبير في إصدار أحكامه ومقاييسه، فهي مؤقتة بمكانها وزمانها المتغيرين فضلا عن ارتباطها بذوق العصر وثقافته المتغيرين كذلك، وهذا ما يعني بأن الأحكام النقدية ضمن مقام المكان والبيئة؛ فمن الطبيعي أن تكون متغيرة وعرضة لعدم الثبات واستجابة لما ترفضه البيئة المرتبطة بتغير المكان والثقافة والعصور والحضارة.

أدرك النقاد العرب سلطان البيئة في إبداع النصوص وتأويلها، فأخذوا يعولون عليها في الكثير من أحكامهم النقدية في الأدب والنقد استمدوا مقولاتهم الإبداعية والنقدية من وحي البيئة العربية، وقد اخذ النقاد الارتباط الوثيق بين المكان واستقراره والإبداع الشعري بعين الاعتبار وهو ما لفت إليه ابن سلام الجمحي في قوله: «وبالطائف شعر وليس بالكثير وانما

¹ إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، لبنان، ط 4، 1983، ص: 5.

² ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط 3، 1414، ج 4، ص: 683.

كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم والذي قلل الاشعة قريش وأنهم لم يكن بينهم فائدة ولم يحاربوا»¹

فالناقد اعتبر البيئة مقياساً لنقد الشعر؛ معللاً بذلك بقلة الشعر في الطائف وعمان وكثرته في المدينة ، كما رام الناقد إلى اعتماد البيئة أيضاً مقياساً لتاريخ الشعر والشعراء في حدود البعد الزمني (الجاهلي، الإسلامي)، بل تجاوز ذلك إلى تصنيف الشعراء حسب أمكنتهم ، قائلها مرحباً أنسابهم كما جعل المكان بما يخالطوا من حضارة أو بدواة أحد معايير الحكم على الشعر وقبول الإحتجاج به ، فالعرب لا تقبل من الشعر ولا تكثر من روايته إذا خالف طبائعها.

وبتأثر النقد الأدبي عند العرب في تقييم لغة الشعر ببعض الظواهر البيئية فاستخدم النقاد العرب وصفها في مجموعة من المفردات المرتبطة بجغرافية البيئة العربية، من أمثال السهل، والماء، والعذب والرونق، والحر، والبارد ، والفاتر، وتغطي هذه الأوصاف جانبين من جوانب النقد الأدبي ، جانباً يتعلق بنقد الألفاظ والمعاني وآخر يتعلق بنقد النظم فنقد المعاني تمثل في نقد ألفاظ الشعر ومعانيه من سهولة اللفظ والمعنى وجزالتهما ، كزادة الألفاظ، عذوبة اللفظ والمعنى ، رونق الكلام ، برودة المعنى...الخ ، وهي مقاييس تغلب عليها بالوصفية لأن النقد عند العرب «بدأ بداية وصفية شأنه شأن كثير من العلوم والفنون الإنسانية هذا فضلاً عن كونه يخضع في كثير من مقاييسه وأحكامه إلى ذوق العصر وثقافته وهو ما يعني قبول هذه المقاييس والأحكام للتغيير بتغير ذوق العصر وثقافته»² وربط ابن سلام الجمحي معيار الفحولة بالمكان الذي نشأ فيه الشاعر بكل ظواهره البيئية وخصوصياته الحضارية يقول : « ومن ثم يكمن القول بأن مبدأ تأثير البيئة في الإبداع صحيح»³ فالمكان يشكل جزءاً كبيراً ومهما في فكري وثقافة المبدع.

¹ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ، تح : محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، لبنان ، دط ، 1996، ص 259.

² العسكري، الصناعتين ، تح : علي بلاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العنصرية ، لبنان ، ط1 ، 1952 ، ص:393.

³ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مرجع سابق، ص: 261.

استمد النقد في العصر الجاهلي وجوده من الحياة اليومية للإنسان العربي الجاهلي الذي عاش حياته البسيطة في أحضان الصحراء القاسية في طبيعتها، حيث قلة الماء والزد والمرعى مع شدة الحر، والانتقال من مكان لآخر. طلبا للماء والعشب مما يجعل حياة العربي القديمة متعلقة بالصحراء من ثقافته وعاداته وطريقة تفكيره كلها مرتبطة وتابعة لصحرائه القاحلة، التي أثرت على نظام معيشتة ونوع شعوره وأحاسيسه، وما اعتمده من أخلاق حميدة، وخصال نبيلة، بالصحراء الفسيحة كانت مصدر تأثير على حياة البدو الذي عاشها ذلك العربي وهي التي جعلت منه إنسانا شجاعا، من أجل ذلك كان يغني ويروح عن نفسه تارة وليسري بعض الشيء عن ناقلته اللاغية ويحدثها على المسير تارة أخرى.

«فما كانت الألفاظ عند العربي مجرد أصوات بحذفها اللسان، وإنما كانت وسائل حاسمة للتأثير في سامعيها وفي اجتناب من يخاطب بها أو تغني له من أجل ذلك؛ كان صانع هذه الأغاني والكلمات صاحب دراية وعلم»¹ كانت هذه الأشعار والأغاني متنوعة الأغراض وظل العربي أحقابا يقول الشعر، بتلك الأغراض ويقول بلسان قومه وفي ضرب من السجع أولا ثم الرجز بعد ذلك، ثم إلى قرض الشعر الصحيح، ودام الحال على ذلك نحو قرن أو يزيد قبل الإسلام، والشعر العربي اتسم بسمات مميزة هي:

أ: أنه شعر عربي النشأة والأهل، عربي في أعاريضه ونهجه وأغراضه وروحه وكل ما انتفع به الجاهليون مما نقلوه عن غيرهم إنما يظهر في بعض الفنون البيانية.

ب: أن هذا الشعر مر بالكثير من ضروب التهذيب، حتى بلغ حد الاتقان الذي نجده عليه أواخر العصر الجاهلي، فلم يعرف الشاعر العربي كل تلك الأصول الشعرية في القصيدة. وكل تلك المواصفات في بداياته وإنما عرف ذلك كله بعد تجارب وبعد إصلاح وتهذيب، وهذا " التهذيب هو النقل والدليل على ذلك حوليات زهير بن أبي سلمى التي كان ينقحها فيما يقال حولا كاملا قبل أن تخرج إلى النور " فبين كتابة القصيدة وانشادها على

¹ طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد العربي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، المكتبة العربية، بيروت لبنان، دط، 1981، ص: 8-9.

مسماع الناس يأخذ الشاعر عاما كاملا في تنقيح هذه القصيدة ، حتى يشعر أنها وصلت حد الكمال والجودة.

إن التأمل العميق والمتأنى للنقد القديم في أولى بداياته وما ورد إلينا من نماذج للنقد في العصور القديمة على قلتها. مقارنة بالأدب يعطينا نظرة إجمالية وفكرة عامة على ما كان عليه النقد الأدبي يومها ويظهر من خلال مستويات سنعرضها لاحقا.

أما فكرة الناقد الحاذق المتمدن الذي يحتكم إليه الناس في الشعر كانت فكرة معروفة بين الناس عامة والأدباء خاصة. كما أن فكرة الحكم النقدي كانت فكرة حاضرة في أذهان الشعراء أيضا ومن هذا المنطلق سنبين مستويات النقد العربي القديم ، ومن أولى بالنقد الشعراء أم الأدباء.

1- مستويات النقد القديم:

يعرف النقد القديم في أولى بداياته أنه نقد بسيط لم يتعد حدود الإنطباعية والذوق الشخصي، أي الإحساس بالأشياء أولا ؛ فهو تجربة شخصية ورؤية تأثرية إبداعية.

وفي إطار التعرف على النقد القديم نتعرف على وجود الشخص الناقد ؛ الذي يقوم الناس بالإحتكام إليه في الشعر كانت من الأفكار المعروفة بين الناس بشكل عام ، وبين الأدباء بشكل خاص ، فالحكم النقدي كان من الأفكار الحاضرة في ذهن الشعراء ودون تلك الفكرة ما قام به الشعراء من تنافس بين بعضهم البعض في تأليف أجود الشعر.

ظهر النقد القديم من خلال ثلاث مستويات:

أ- المستوى الأول: النقد الذاتي التأثري

ونعني به النقد الذي يكون مبعثه الإحساس القائم على أثر الشعر في النفس والذوق الفطري، وكذلك هو نقد الشاعر لنفسه وتهذيبه لقصيدته وتقويم شعره ليكون متناسقا سليما معبرا عن مشاعره الصادقة اتجاه الشيء الموصوف، يقول الدكتور عيسى العاكوب: «فالشعر عند بعض الشعراء ليس تدفقا تلقائيا يستسلم فيه الشاعر لقريحته بل هو

ضرب من المعاناة ، والمكابدة ، والطلب الملح ، ولا يكتفي الشاعر بما أتاه لأول وهلة بل يتأمل به عين البصيرة فيسقط منه ويغيره ويضيفه حتى يخرج قريبا من التمام»¹ ، فالشاعر هنا هو أكثر المحققين المهتمين بتجويد شعره حتى يرضى الجمهور المتلقي للشعر، ويستقطب إليه أكبر قدر ممكن من الرواة والمعجبين ولعل ، أشهر رواد هذه الطائفة من الشعراء زهير بن أبي سلمى الذي يستغرق في تهذيب شعره وإعادة النظر فيه حولا كاملا قبل أن يخرج على الناس بقصيدته كاملة مكتملة ، ولهذا السبب سميت قصائده بالحواليات وكان الأعشى فيما يروى عنه يجوب أحياء العربي وقبائلها ينشد شعرا مستعينا بآلة موسيقية تدعى الصنج وما يفعل ذلك إلا إحتفالا بشعره ورغبة في جلب المثنيين المعجبين ، وكذلك هذا النقد جعلهم يرجعون في كل ما يتصل بأدبهم إلى السليقة ، يصدرن عنها في أحكامهم التي تدور حول ما استخدموا من أنماطهم الأدبية وتذوق الجمال في الأدب مرده عندهم إلى الطبع الذي نشأوا عليه ، وإلى البيئة ذات الطبع البدوي العربي الأصيل في كل جانب من جوانبها المختلفة ، فهو ميل فطري لازم النفس البشرية منذ القدم لأن الأمة العربية أمة الفصاحة والبلاغة لذلك تباروا عن الإفصاح لتأدية المعاني نثرا وشعرا وفي كليهما اطمأنوا إلى سلامة المعنى والنظم حتى أصبح المألوف والمقبول عندهم ما جمع السلامة في أطرافه وهو الذي يستحق الإستحسان، وغيره يستحق الإستهجان.

أول شيء يمارسه العرب في العصر القديم وبدايات النقد وشؤونه ونظرة الشعراء أنفسهم إلى نتائجهم الأدبي وخلق ذلك روح التنافس بين الشعراء ، فهم يتبعون الطوائع أنفسهم وطبيعة البيئة من حولهم في آن واحد فلم يكن للنقد حينها أصول معروفة ولا قوانين معينة مضبوطة بل مجرد لمحات ذوقية ونظرات شخصية تقوم على أذواقهم ، وسليقتهم حين كان أغلب الشعراء يتفحصون شعرهم بالنظر والتأمل رغبة في تنقيفهم ومحاولة دائبة لصقله حتى يصل به إلى درجة يشعرون فيها أنهم راضون كل الرضا على نتائجهم الشعري ومن أشهر هؤلاء الشعراء نجد الشاعر زهير بن أبي سلمى ، وكعب بن زهير والحطيئة فقد كان كل من

¹ عيسى علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، سوريا ، دط ، 1963 ، ص : 35.

واحد منهم يمضي في نقح القصيدة الواحدة حولاً كاملاً حتى يصل بها إلى درجة يظن أن قصيدته نالت رضاه واستحسانه ، وبلغت حداً أقصى من حدود الكمال والجودة.

ب- المستوى الثاني : النقد الخاص

وهو النقد الذاتي نشأ بين طائفة خاصة من المجتمع العربي على رأسهم الشعراء أنفسهم، يقول الدكتور مصطفى عبد الرحمان : «ولد النقد الأدبي مع مولد الشعر ونشأ معه وهذا أمر طبيعي فإن الشاعر ناقداً بطبعه، يفكر ويقدر ويختار ولهذا كان أقدر من غيره على فهم الصنعة الشعرية وعلى إدراك أسرار القبح والجمال»¹ ، فالشعراء العرب كانوا يتميزون بخاصية الشعر والنقد معا ؛ فمعرفتهم للشعر من جهة وتنافسهم فيم بينهم من جهة أخرى يدفعهم إلى إصدار أحكاماً نقدية من شأنها ، أو توجه الشعر وتهذيبه... فمما يروى عن النابغة بن ذبيان أنه كانت تضرب له خيمة من آدم حمراء في سوق عكاظ ؛ يجتمع فيها الشعراء العرب من شتى القبائل يعرضون عليه أشعارهم ، ويقدم لهم حكماً بغض النظر عن خبرته وقوة فصاحته وبلاغته ، ومثال : «الأعشى الذي أشاد به ، ثم دخلت الخنساء فأنشدته:

قَذَى بِعَيْنِكَ أَوْ بِالْعَيْنِ عَوَارُ...إلى أن قالت :

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمَّ الْهُدَاةُ بِهِ **** كَأَنَّهُ عَلَّمَ عَلَى رَأْسِهِ نَارَ

وَإِنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا **** وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا انْشَقَّ لَنَحَارَ

فقال : لولا أن أبي بصير- يقصد الأعشى - قبلك لقلت : إنك أشعر الناس ، أنت والله أشعر من ذي مثانة ، قالت : والله ومن كل ذي خصيتين.

فقال حسان : وأنا والله أشعر منك ومنها.

قال النابغة : حيث تقول ماذا؟

قال حسان :

¹ مصطفى عبد الرحمان، النقد الادبي القديم عند العرب ، مكة للطباعة ، مصر ، ط1 ، 1998، ص: 72.

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرَّ يَلْمَعَنَّ بِالضُّحَى *** وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرَنَّ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءَ وَابْنِي مُحْرِقٍ *** فَأَكْرَمَ بَنًا خَالًا وَأَكْرَمَ بَنًا ابْنَمَا

فقال : إنك شاعر لولا أنك قلت عدد جفانك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدك وفي رواية أخرى قال له : إنك قلت (الجففات) فقلت العدد ولو قلت (الجفان) لكان أكثر وقلت (يلمعن بالضحى) ولو قلت (يبرقن بالدجى) لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقا، وقلت (يقطرن من نجدة دما) فدلالة على قلة القتل ولو قلت (يجرين) لكان أكثر لانصباب الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدك.

فقام حسان منكسرا¹

ج- المستوى الثالث : النقد العام

هو نقد الجماهير والمتلقين والمستمعين فالمعروف عند العرب أنهم أهل البلاغة والفصاحة والبيان كانوا يتذوقون الأدب بفطرتهم وسجيتهم وكانوا ولوعين شغوفين بالشعر خاصة ، ولابد أن هذه العامة لها ذوق خاص ، واتجاه محدد وهو الشعر الغنائي الوجداني وقالب خاصة مثل المقدمة الطلية ، والغزلية ، والخرمية نحو ذلك من القوالب التي تتجذب إليها أكثر من غيرها من أجل هذا الذوق يتقيد الشعراء وينشدوا الشعر حسب ما تحبه وتطلبه الجماهير وهذا ما يدفعهم لتهديب بشعرهم بما يساير هذا الذوق العام ، يقول الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن عامة العرب الذين كانوا يستمعون لشعر الأعشى الذي كما سلف ذكره يطوف بأحياء العرب لينشد شعره لعامتهم: « ولا نرتاب في أن من كانوا يستمعون إليه كانوا يستعيدوه في

- حضرته- ما ينشده مرارا وأنهم كانوا يطلبون منه المزيد ، ولا نرتاب أيضا بأنهم كانوا إذا رحلوا يتحدثون عنه وعن شعره فيتعصبوا بعضهم له وبعضهم عليه مؤثرا شعراء قبيلته، وكذلك كان لهم شأن في الأسواق حين يستمعون إلى ما ينشده الشعراء فيظهر فريقا منهم معجبا ويظهر فريقا آخر بالسخرية والاستخفاف»²، فمن المعروف أن العرب كانت أمة شاعرة

¹المرجع نفسه ، ص: 44

² شوقي ضيف ، في النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص: 21 - 22.

ومجاهدة جاهدت من أجل امتلاك زمام الأدب عامة والشعر خاصة فكان هناك مجالس مخصصة لإنشاد الشعر وتقويمه وتقديره ، فأنشد الشعراء شعرهم في هذه المجالس وكان لهذا الشعر صدى في نفوس متلقيه ، ومتذوقيه ، ومستمعيه ، فقد تمثلوا به واستمعوا الى روايته في مجالسهم وكان من ينقد ويعدل للشعراء ما احتاج نتاجهم إلى التعديل ، « وقد أشارت مصادر الإرث الشعري والنقدي إلى مجالس نقدية خاصة في العصر الجاهلي توزعت على الحجاز والعراق والشام واليمن »¹ ، ومنها مجلس قريش النقدي ولقريش ذوق أدبي يختلف عن القبائل الأخرى؛ وذلك لأسباب تفردت بها قريش منها أنها قبلة الحبيج لقبائل العرب جميعا وفيها تقام أسواق العرب التجارية، فضلا عن سوق عكاظ الأدبي ومن هنا كانت لأحكام قريش النقدية أهميتها ؛ وهي أحكام تفوقت على أحكام القبائل الأخرى.

إن المجالس الشعرية العامة كان لها دور فعال في تنميه الذوق النقدي لدى الشاعر الناقد والنقد العربي القديم معا لأن تلك الأحكام النقدية كان لها صدى كبير بين الجمهور الشعري والناقد والمتلقين، والأسس المعتمدة في تلك الأحكام مبنية على الفطنة والقدرة على الحكم النقدي على النص الشعري.

وهذا مبني في الأساس على الحنكة والخبرة الفنية للنقد العربي القديم وقد جاءت تلك الأحكام بين الشعراء والنقاد معا ، كما أن الجمهور المتلقي كان مع هذا الحكم أو ذاك وذلك من خلال الذوق النقدي الفطري ، وهذه اللبئات الأولى حفزت الحركة النقدية وتقدمت بها إلى الأمام ورسخت تقاليد نقدية رصينة تثبت وجودها على الساحة الأدبية.

من خلال مستويات النقد في البيئة العربية القديمة استنتجنا أن الشاعر هو الناقد الأول والمهذب لشعره وشعر غيره ، والنواة الأولى التي ظهر من خلالها النقد.

2- الشعراء النقاد

¹ المزرباني : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، مرجع سابق ، ص : 46.

ظل الشاعر لآماد طويلة يمارس الابداع والنقد ضمنا ؛ دون أن يكون ذلك أمرا لافتا للإنتباه وأصدار أحكام نقدية ذوقية ، ذاتية ، واهتم النقاد بما يقدمه الشاعر وراحوا يناقشون أبعاد هذا التعبير اللفظي ومسارته ، وتبين أن الشاعر هو « أول ممارس للعملية النقدية منذ أن وجد من يعنى بهذه الصياغة اللفظية المتميزة التي تسمى الشعر يبذل جهدا مهما في تهذيب شعره وتنقيحه حيث يسعى البلوغ إلى حد من الجودة والنضج »¹ ، هذه الممارسة الذاتية التقويمية التي تخص الشاعر والشعر معا لا يمكن النظر إليها بوصفها ممارسة نقدية مباشرة وكاملة تصدق عليها تسمية النقد ، فليس الشاعر في ذلك يختلف عن شخص آخر يريد بلوغ عمله حالة من الجودة ، والقبول والكمال في حد أوسع من قناعاته الشخصية لأنه يطمح لنيل رضا الآخرين بوصفه نقدا محدود الفاعليه لسماته التي تعكس وجهها للممارسه الذاتية التي لا بد منها ، لاسيما هناك نمطا من الشعراء الذين لم يتوقفوا عند حدودها بل سعوا فضلا عنها إلى تقديم أفق من الكتابة النقدية التي تعكس وعيهم وخبرتهم وثقافتهم في مجال الشعر، وتمكنهم الكبير من اللغة فجعلتهم مؤهلين لوصف خاص بهم هؤلاء وأخذوا إسم "الشعراء النقاد" « الصورة الأولى للنقد كانت على يد الشعراء وكانت تلي مباشرة القاء المقطوعات الشعرية التي كان ينظمها الشعراء ، تصدر غالبا من الرواة والحفاظ ، فالنقد ملازما للشعر »² ، والشعر ينير بفضل خصائص صياغته أنواعا خاصة من الإنفعالات ومن المؤكد أن تكون هناك استجابات وردود أفعال لهذا الإنفعال في بعدها السلبي والايجابي.

وكما ذكرنا سابقا أن النقد ظهر على يد الشعراء، فهم تلك المدرسة التي تعمل على انضاج الشعر وتخليصه من الشوائب التي علقته به لحظة ولادته ، وتكوينه هي يقول طه ابراهيم : «في مثل هذا العهد نعد نقدا كل ماله أساس بالأدب بنية ومعنى وإن لم يتصل بالبحث في هذا الجمال الفني قدم إلى الإقواء نقدا في الجاهلية لأنه يعيب أمرا لعله من آثار طفولة الشعر»³ ، وهو مظهر من مظاهر الحس النقدي عند الشعراء ، وأن هذه التجارب والرؤى النقدية ظهرت في النقد القديم على اختلاف عصوره وقرونه.

¹ طه ابراهيم أحمد ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، مرجع سابق ، ص :13.

² المرجع نفسه ، ص :9.

³ طه ابراهيم أحمد ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، مرجع سابق ، ص :10.

أ- ظاهرة الشعراء النقاد في العصر الجاهلي

الشاعر الناقد هو مظهر من مظاهر الحس النقدي عند شعراء ما قبل الاسلام ، «ومنهـم المدرسة الأوسية الذي نعتهم الأصمعي عبيد الشعر »¹ ، وخاصة زهير بن أبي سلمى صاحب الحوليات فالشعراء كثيرا ما مارسوا على أشعارهم نقدا ذاتيا يتوجهون إلى شعرهم فيتدارسونه ويراجعونـه، وهي عملية تنقيحية يقوم بها الشعراء اتجاه شعرهم عن طريق الزيادة والنقصان ، أو التقديم أو التأخير، ويضيفون إليه في تبصر وعمق ، وكان كل هذا ضربا من الممارسة النقدية على نصوصهم الشعرية ، ما يؤكد أن أول ظهور للنقد كان على يد الشعراء أنفسهم ، فأخذوا بنقح نتائجهم الشعري يتدبروه ويضبطوه حتى يظفروا بأعمال قيمة متكلفين جهدا شاقا في التماس المعنى المصيب تارة واختيار اللفظ مرة أخرى.

فما نجده في المجالس والأسواق الأدبية العربية القديمة من هذه الظاهرة حيث برز النابغة الذبياني في نقد الشعر ، وأخذ محمد منظور يتحدث في موضع عن صور النقد في أولى بداياته حيث ذكر سوق عكاظ فيقول : « كانت عكاظ سوقا تجارية يباع فيها ويشترى طريف الأشياء والحاجي منها...وكانت فوق ذلك كله بيئة من بيئات النقد الأدبي يلتقي فيها الشعراء كل عام »² ، فكانت سوقا أدبية بامتياز .

ويبين الدكتور علي بن محمد في كتابه " الشواهد النقدية " حين شرع في صميم عمله يفتتح الكتاب بقوله : «كان هناك في الجاهلية نقد يتبع الأدب الجاهلي ، كما كان هناك نقد يسبق هذا الأدب، وقد كان نقد الجاهلية هم شعراؤها ولعل الناقد الأول وجد عقب المنشئ الأول كما يقولون ، ولاشك أن النقد الجاهلي كان له نصيب واف في تبدل الأطوار التي مرت عليها القصيدة الجاهلية قبل أن تبلغ الصورة التي وجدناها عليها في المعلقات وغيرها »³ ، فالم تأمل في ثنائية "الشاعر الناقد" يرى أن المبدع ناقد بقوة ؛ لأنه يمتلك حاسة نقدية وثقافة واسعة ومعرفة عميقة بأصول الشعر وخباياه، أي أن الشاعر الناقد يقوم بدور المجدد في شعره وأحيانا

¹ المرجع نفسه ، ص : 12.

² ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط 5، 1981

ج 6، ص: 119.

³ الأمين عز الدين ، طلائع النقد الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2، 1970 ، ص: 347.

يضطر إلى إصدار الأحكام النقدية والنظر في شعر غيره ، ويمكن تقسيم الشعراء النقاد إلى نوعين : نوع يمارس النقد على أدبه فقط بغية تحسينه ، ونوع منتج للنقد أي أنه يمارس نشاطه الإبداعي على شعر غيره.

ب- في صدر الإسلام:

بظهور الرسالة المحمدية بدأ عهد جديد للنقد العربي ، فبعد أن كان الناس منشغلين بالأشعار الجاهلية وما فيها من جماليات فنية أدبية في مختلف الأغراض الشعرية ، بدأ انشغالهم بظاهرة جديدة عليهم لم يعرف الزمان ولا المكان ولا الإنسان مثلها إنها معجزة القرآن الكريم والتي كانت حديث العام والخاص لديهم ، حيث قال الوليد بن المغيرة وهو أحد البلغاء يصف هذه المعجزة الخالدة: « إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر والله ما هو بقول الإنس ولا الجن وأنه ليعلى ولا يعلى عليه »¹ ، وجه هذا الدين الجديد للشعراء والأدباء إلى ضرورة الإلتزام بالأفكار والاتجاهات التي تلائم الروح الجديدة ، ألا وهي الأخلاق وحسن المعاملة ، وبهذا هدفان إلى غاية واحدة ، هي صلاح العقيدة وصلاح المجتمع ، وتحصيل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

وهذا المقياس فوق كونه مقياسا دينيا خلقيا ، فإنه مقياسا فنيا ، «وتجدر الإشارة من البدء إلى أن الحياة الأدبية في عهد البعثة الإسلامية قد تأثرت إلى حد كبير بالإسلام وبالقرآن الكريم معجزته الخالدة »² ، بعدما أشرقت شمس الإسلام ارتقت العقول تودع حياة الفوضى التي ألقتها وعاشت فيها، وتبقى نفوس حائرة لاجتتابها لظلالها القديم وزعامتها القبلية التي هامت بها «فيتصارع الهدى والظلال بالحجة والبيان ثم يحتكمان إلى السيف إذا امتد الخصام إلى العدوان في كل صراع كانت الغلبة للهدى و كان النصر للحق»³ ، وإلى جانب الحجة فالسيف كان الشعر سلاحا من أمضى الأسلحة في الليل من الاعداء المعاندين.

¹ أبي الفرج الاصفهاني، الأغاني ، تح :إحسان عباس وآخرون ، دار صادر، لبنان، ط3 ، 2008، ج25، ص:9.

² عبد العزيز عتيق ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،ط4، 1986، ص: 41.

³ بدوى طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي ،مكتبة الأنجلو المصرية ،مصر ، دط ، 1965، ص:77.

فكان النقد في صدر الإسلام استمرار للنقد في العصر الجاهلي؛ فهو نقد فطري فقد كان في عصر البعثة حافلا بالشعر فياضاً به ، فما كانت المعركة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين معركة سنان فحسب ؛ بل فكانت أيضاً معركة أسلحتها البيان وقول الشعر فكلموا الكفار بشعائهم استعان الرسول صلى الله عليه وسلم بذوي الشاعرية من المسلمين يحثهم على تأييده ويقولوا للأنصار ما يمنع الذين نصرنا الله بسلاحهم أن ينصروه بالسنتهم » فينتدب منهم طائفة من المتحمسين لدينهم ، من أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، ليقفوا صفا في وجه الشعراء المشركين أمثال عبد الله الزبيري ، عمر بن العاص ، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب من قريش ، وكما بدر القتال في الوغى استحر القتال بين الشعراء »¹ ، وهكذا نرى الشعر ينشط في تلك الفترة نشاطاً ملحوظاً ويجري على السنة الرجال والنساء ، والذي يعيننا من هذا ما نلاحظه في كثير مما قيل من روح النقد والتتبع من الشعراء أنفسهم ، فإذا قال الشاعر من المسلمين قصيدة في الفخر بما كتب لهم من النصر ، يتصدى له شاعر من المشركين يحاول أن يهدم فخره وينقص قوله وكان شعراء قريش من المشركين يهجون النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه وكان الشعراء الأنصار يناقضون هذا الهجاء ، «ولعل ذلك أول عهد حقيقي للنقائض في الشعر العربي ، وهذه المناقضات بين مكة والمدينة كانت تدعوا إلى النقد وإلى الحكم وكان العرب يقدرّون هذا التهاجي ويؤمنون بما فيه من قوه يفصحون بما فيه من لدغ وإيلام»² ، كانت قريش تخاف من هجاء حسن بن ثابت فكان يطعن في أحسابهم ويسب آلهتهم وأصنامهم وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر والشرك.

ظل النقد في صدر الإسلام فطرياً يعد مأخذ وملحوظات يفتن إليها ، «وإن يكن قد جنح شيئاً إلى الدقة فحاول تجديد بعض خصائص الصياغة والمعاني»³ ، فلم يشجعوا الشعراء كثيراً ولكنهم على عكس كانوا يشجعون حفظة القرآن الكريم.

ج - في العصر الأموي:

¹ المرجع نفسه ، ص: 79.

² طه إبراهيم احمد ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق ، ص: 16-17.

³ بدوى طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي ، مرجع سابق ، ص: 95.

نما النقد وترعرع في بلاطات الخلفاء والولاة ومجالس الفقهاء، شهد نموًا وازدهارًا عكس ما كان عليه في العصور السابقة، فكان الأدب في عهده الأول لم ينشأ أو ينمو إلا في أرضه ومنبته، فإذا خرج الشاعر من أرضه اعتقل لسانه أو كاد، «فإذا سكن العربي مدينة تخالف طبيعة أرضه ومهده كمصر والمغرب وفراسان لم يتغن بشعره إلا قليلاً وهي ظاهرة غريبة حقا تحتاج إلى درس وإمعان نظر»¹، أما في العصر الأموي الشعر وروح النقد بسبب تشجيع الخلفاء والأمراء والقادة، فلقد ترعرع الشعر وتربى في بلاط الولاة والحكام حيث فتحوا للشعراء أبوابهم، فوفدوا من كل مكان و«كانت الجوائز التي يرصدونها للشعراء موقوفة على قدر شعرهم ومقدار براعتهم فيه، فاشتد التنافس بين الشعراء وحرص كل منهم على أن يتخير معانيه وألفاظه بحيث تصغى لها القلوب والأسماع ويحظى صاحبها بالجوائز القيمة»²، واتسعت مجالس النقد في العصر الأموي وكان منهم من يروي الشعر وينقده، وأصبح الشعراء يقارنون بين الأغراض الشعرية ويقدمون شاعر ويؤخرون آخر، وكانت الأسواق الأدبية في هذا العصر تمثل مجمعا أدبيا وملتقى للشعراء، ومن «أشهر هذه الأسواق سوق مرید الذي ساوى سوق عكاظ في الجاهلية»³.

وقد برز في هذا العصر غرض جديد بين الشعراء وهو فن النقائض؛ هي قصائد الهجاء التي وقعت في العصر الأموي بين جرير والفرزدق والأخطل، حيث كان كل منهم يمدح في نفسه ويذم الآخر بقصائده مع التقيد بوزن وقافية القصيدة المذمومة وأثر النقائض في ازدهار الحركة النقدية واضحاً في أن كل شاعر منهم التف حول فريق من أنصاره المعجبين بشعره، يحاولون أن يظهروا للناس محاسنه وأسباب تفوقه، كذلك يبخسون شعر معارضيه «ومن مجموع هذه المحاسن والمساوئ للشعر والشعراء حصل ذلك التراث المروي من النقد، قبل أن يؤلف فيه العلماء أمثال ابن سلام»⁴، وكانت النقائض أشبه بمدرسة شعرية ونقدية معاً

¹ شوقي ضيف، في النقد الأدبي، مرجع سابق، ص: 76.

² مصطفى عبد الرحمان إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة المكرمة للطباعة، مصر، ط 1، 1998، ص: 41.

³ محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع هجري، منشأة المعارف، مصر، ط 1، 2002، ج 1، ص: 18.

⁴ ظلام سعد عبد المقصود، في النقد الأدبي، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 1975، ص: 46.

« فكانت نظرة الشعراء إليها على أنها ميدان إصالة شعرية لا يثبت فيه إلا الأصلاء في هذا الفن »¹، وبهذا أسهمت النقائض في فهم الأساليب الشعرية التي استعملها كل شاعر وأشاعت جوا من الوعي الأدبي والنقدي بين الشعب العربي ، وقد حققت النقائض ثورة نقدية قامت على مظاهر مختلفة بعضها لغوي ، والآخر نحوي والثالث أدبي، وأعادت للشعر فخامته ورقية الفني، وكست فنونه وأغراضه ديباجة من القوة والازدهار.

ونجد كذلك كثير عزة مكملًا لهذا الثلاثي في رصيده النقدي وأحكامه النقدية نفتقر إلى التحليل والتفسير كذلك ، كما في موازنته الشهيرة بين عمر بن أبي ربيعة والأحوص ونصيب بن رباح ، عندما ذهبوا إليه في مجلسه ، « إذ تناول بالنقد بيتا أو بيتين لكل شاعر من جانب معنوي ، مفضلا عليه زميله الذي يليه »² ، ولكونه واحدا من شعراء المدرسة التي «تبدأ من أوس بن حجر في الجاهلية إلى كثير في العصر الأموي»³ ساعده هذا على تكوين ثقافة شعرية جيدة ، مما أهله للخوض في مجال النقد ، كما ذكرنا سابقا أن أصحاب هذه المدرسة اهتموا بتنقيح شعرهم وتهذيبه إلى أن يصل إلى حد كبير من الجودة والعذوبة ، وهذا لون من النقد الذاتي التأثيري.

د- في العصر العباسي :

احتفظ الخلفاء والأمراء ولاسيما في الصدر الأول من العصر العباسي ، بأعظم خصائص العروبة ، وهي حب الشعر وتقدير غرر الكلام، والقدرة على تمييز جيده من رديئه ونقد ألفاظه ، ومعانيه بحاستهم الفنية وأذواقهم المرفهة، وبقيت لهم مع ذلك أريحياتهم

¹ رفعت زكي محمود عفيفي ، من مظاهر النقد الأدبي عند العرب ،دار الطباعة المحمدية ، القاهرة، دط ، 1990، ص : 96.

² أبو العباس بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب : تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار النهضة ، مصر ، ط 2، 1981، ص: 155.

³ أبي الفرج الاصفهاني ، الاغانى ،مرجع سابق ، ص: 91.

وسخاؤهم، « فأطلقوا أيديهم بالعطاء للشعراء، كما كان يفعل بنو أمية، وكان لهذا البذل أبعد الأثر في رواج الشعر ونقده، والتصرف في فنونه »¹.

فمع ازدهار النقد الأدبي في القرن الثاني الهجري على يد جملة من رواة الشعر والشعراء التابعين، فمن رواة الشعر: الأصمعي، وحماد الراوية، وخلف الأحمر، وأبو عمر بن العلاء، وأبو عبيدة، كان خلف الأحمر من النقاد المبرزين حتى قال ابن رشيق: و «كان أبو عمرو ابن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف في حلبة هذه الصناعة ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها»².

كان أبو عبيدة يرى أن أشعر الناس: ثلاثة من الجاهليين إمروء القيس الكندي، النابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، ومن الإسلاميين ثلاثة: الفرزدق، وجريز والأخطل، لأنهم اعطوا حظاً في الشعر لم يعطه أحد في الإسلام.

أما الأصمعي فكان معجباً بشعر بشار لأنه كان يناصر المولدين فقدّمهم على الجاهليين. وكان يشبه بشاراً بالأعشى والنابغة بل كان يفضل على مروان ويشبه مروان بزهير والحطيئة.

والنقد على أنه امتاز في هذا العصر بالموضوعية وظهور قواعد وأسس قد تبلورت على أيدي النحاة واللغويين، فإن للأدباء دوراً لا ينكر، فهذا بشار بن برد مع كونه شاعراً فهو كذلك أجود الشعراء وأدقهم في نقد الشعر، فيذكره أبو فرج الاصفهاني فيقول: «إن أبا عبيدة كان يعجب من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده»³.

وهكذا نجد في أبي نواس الأديب الآخر والناقد الحاذق الذي يمثل جانباً من تطور الحياة الأدبية في هذا العصر.

لو أجملنا الحديث نقول إنّ التجربة النقدية عند الشعراء في القرن الثاني تطورت بشكل ملحوظ لا يمكن الإغفال عنها، وقد تضافرت جهود كثيرة من زوايا متعددة حتى بلغت مرتبة من المنهجية والموضوعية ، بعد ما تجاوزت مرحلة الإستقراء فهناك طبقة الرواة وطبقة

¹ ابو الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، مرجع سابق، ص:197.

² أبي الفرج الاصفهاني، الأغاني ، مرجع سابق ، ص: 17.

³ المرجع نفسه، ص: 134.

اللغويين، وطبقة النحاة ، وطبقة البلاغيين ، ثم الأدباء أنفسهم ، كل أولئك ساهموا بخطوات كبيرة لرفد النقد الأدبي حتّى استقرّ على القواعد والأسس التي دوّنت في القرن الثالث الهجري، فمن طبقة الرواة والأدباء، أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة، والأصمعي، وخلف، وأبو زيد.

3- سلطة الشاعر على النقد

يتوقف الإهتمام بالجانب النقدي في شخصية الشاعر العربي، عند عدد كبير من الشعراء الذين توفرت شخصياتهم على مستوى من التعبير عن تجربة نقدية برزوا فيها، من خلال ما دار حولها من تتبع نقدي لدى النقاد العرب القدماء ، والنظرية النقدية في أدبنا العربي القديم عبر عصوره.

وما وصلنا من شعر عصر ما قبل الإسلام ، تسبقه ملاحظات نقدية ناضجة كنضجه ويبدو ما بين أيدينا من هذه الملاحظات أن الشاعر العربي القديم متفرد بعملية الإبداع الشعري والنظر المتأمل فيه وحده غالبا ، مثل ما انفرد بمكانته بوصفه صوتا ينطق بما لا قدرة للآخرين عن قوله ، فالشعراء وهم أصحاب الصنعة كانوا يرون في أنفسهم مقدرة أكبر من غيرهم في نقد الشعر.

فبشار بن برد ينفي أن يكون اللغويين مثل أبي عبيدة على معرفة بالشعر ويرى أن الشعراء هم الأقدر على ذلك إذ يقول : «ليس هذا من عمل أولئك القوم إنما يعرف الشعر بما يضطر إلى من يقول مثله»¹ ؛ فالشاعر احتل موقع الحكيم المجرب وصوتا يعبر عما يختلج في النفوس ، ويعتبر أيضا مشرعا أخلاقيا وسياسيا في بعض الأحيان وصار شعره لأهل عصره «ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يؤخذون وإليه يصيرون»² ، فقول بشار بن برد الذي ينفي ويستعبد المستمعين والنقاد بمعرفة الشعر، وإذا كان الأمر كذلك فإن من المنطقي أن لا يكون هناك من ناقد للشعر سوى الشاعر ذاته ولم يكن ليجرؤ أحد على ذلك إلا نادرا ، بل ما كان يتصدى لنقد الشعراء إلا شاعر، كالذي فعله النابغة حين كان مجلسه النقدي في سوق

¹ أبو بكر محمد الطيب الباقلائي، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط3، 1971، ص: 117.

² ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، مرجع سابق ، ص: 34.

عكاظ « ملتقى الشعراء الذين يرنون إلى ما يقدمه عن شعرهم من ملاحظات وآراء إنطباعية في معظمها »¹، فموهبتة الإبداعية التي تبدو وهي مصدر خصوصية الشاعر ومجال تفوقه.

ومضايق الشعر وأسراره دافع عنها البحتري حين رفض تسليم العلم بها إلا للشاعر فقال لما علم بأن ثعلب يفسر الشعر : «ليس هذا عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله ، إنما يعلم ذلك من دفع في مسلك الشعر إلى مضايقه»²، فأغلب الشعراء القدامى يرفضون أن يحكموا على الشعر وينقده مؤدب أو لغوي لذا نصبت للناطقة الذبياني خيمة ولم تنصب لعالم ، فنقاد الشعر هو شاعر في الأصل وقد يجمع شاعر موهبتين: الشعر والنقد ، كما فعل الناطقة بن ذبيان مثلاً، فكل من بشار والبحتري يعتقد أن ممارسة الشعر أمراً لا بد منه لمن أراد في نقده إذ لا تكفي المعرفة النظرية لذلك.

ومضايق الشعر الذي ذكرها الشاعران إنما يريدان بها: «الجهد البالغ الذي يقف وراء ظاهرة الانثيال أو عفو القول... وهو جهد بالغ التعقيد تتضافر عليه ملكات الشعر في الأديب»³؛ فهذان الأخيران يرفضان رفضاً تاماً على أن يقوم واحد من اللغويين بنقد الشعر وخص هذه الميزة للشعراء فقط.

إن الملاحظات والآراء النقدية التي جاءتنا من عصر ما قبل الاسلام؛ لا تكاد تقدم صورة توازي ما وصل إلينا من شعر ذلك العصر، ونظرة ذلك النقد لا يزورها كونه كان عند العرب في مرحلة بواكيره ، والأمر أساساً مرتبط بطبيعة الوسيلة التي استخدمت في إيصال الأدب للمتلقين وهي المشافهة والذاكرة الحافظة التي تنقله إلى العصور اللاحقة « وإذا علمنا أن ما وصل إلينا من شعر ذلك العصر لا يمثل كل ما قيل فيه من شعر»⁴؛ بالرغم من كونه الكلام الذي يستقر في الذاكرة لخصوصيته الموسيقية.

¹ أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، مرجع سابق ، ص : 34.

² أبو بكر محمد الطيب الباقلاني ، إعجاز القرآن ،مرجع سابق،ص:112.

³ الجاحظ ، البيان والتبيين ،تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط7، 1998،ص: 287.

⁴ الجاحظ ، البيان والتبيين ، مرجع سابق، ص : 287.

ويبدو أن نظرة المجتمع إلى خصوصية مكانة الشعر ، ظلت سائدة وحظي الشعر بالمكانة الاجتماعية المتميزة ، لم ينافسه فيها الخطيب أو رغم سواه تطور الحياة الفكرية على مر العصور «وهو ما أفصحت عنه الآراء والملاحظات النقدية في العصر الإسلامي التي نسبت إلى أشهر شعراء هذا العصر جرير والفرزدق والأخطل ، وعمر بن أبي ربيعة وكثير ونصيب وسواهم»¹ ، ويبدو أن للتيارات السياسية التي ظهرت في هذا العصر أثرا في طبيعته التوجه الشعري والنقدي.

إذ أمسى الشاعر يدرك أبعاد الموقف الفكري الذي هو عليه ، فيقدم رؤيته من خلال ما آمن به من قناعة يزود عنها بإزاء المواقف المضادة وشعرائها ، وكان ذلك جزءا أساسيا في منطلقات الشاعر النقدية التي اتسمت بتمثل معايير الحياة السياسية والاجتماعية تحكمها في وعي الشاعر ورؤيته ، فيمكن أن نلاحظ أكثر من اتجاه في النقد العباسي ومع تفصح الأفكار النقدية التي قدمها الشعراء عن أهمية خاصة ؛ لأنها اتجهت نحو دواعي التطور ومحاولات التجديد في مسار الشعر العربي التي توافر عليها الشعراء العباسيون ، بدءا بأبي نواس الذي «لم ير أحدا أقدر على فهم خصوصية التجربة الشعرية من الشعراء أنفسهم»² ، والذي دعا شعراء عصره إلى الإستجابة لروح العصر وحضارته ، « فلم يرتض المطلاع الشعري التقليدي المتهاك على بكاء الدمن والمقدمة المتغزلة -حقا أو باطلا- بحبيبته متوهمة ونادى ببديل عصري تمثل لديه بحديث الخمرة»³ ، فهنا اهتم على البناء التجديدي لمضمون القصيدة العربية حين تخضع الملكة اللغوية للشعر لمستوى جديد من التعبير ، الذي يتجاوز ماكانت عليه البنية اللغوية التقليدية.

ويرى أبو الطيب المتنبى أن الشاعر أعلم من غيره بفن الشعر ، وهو يعتمد إلى التعبير التصويري في توضيح ذلك إذ يذكر « أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ؛لأن البزاز

¹ عبد الجبار المطلبي ، الشعراء نقادا دراسات في الأدب الإسلامي والأموي، دار الشؤون الثقافية العامة ،العراق ، ط 1986، ص: 185.

² المرجع نفسه ، ص: 185.

³ الحسن بن هانئ الحكمي ، أبو نواس ، ديوان أبو نواس ،تح : أحمد عبد المجيد الغزالي ، لبنان، ط 1، د سنة ج 1، ص: 1.

يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته، وتفاريقه ؛ لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية¹؛ فالشاعر الذي عايش النص وصاغه هو فن تصور المتنبي بمثابة الحائك الذي صنع الثوب ، فهو يدرك أسرار هذه الصنعة ، أما المتلقي للشعر ناقداً كان أم غيره فهو بمثابة البائع للثوب ، والذي لا يعرف إلا الشكل الظاهري له ، ومن هنا فرأى المتنبي أن الشاعر وحده القادر على فهم الشعر وخبائاه.

ويكرر ابو الحسن المغربي رواية المتنبي كلاماً ، لا يختلف عما رأيناه لدى بشار والبحري إذ يرفض أن يكون لدى المؤدبين واللغويين مقدرة على الحكم النقدي ، ويرى أن الشعراء هم القادرون على ذلك يقول « إنما يحكم فن الشعر الشعراء لا المؤدبة ، ويمثل هذا كانت تضرب للناطقة خيمة من آدم بسوق عكاظ وتأتي الشعراء من سائر الآفاق فتعرض أشعارها عليه ، فيحكم لمن أجاد»²، فالشاعر وحده قادر على استيعاب التجربة الشعرية وتفسيرها وتحليلها وإصدار أحكام عليها بوصفها إبداعاً أدبياً.

ومن خلال رجوعنا إلى المصادر الأدبية القديمة ، يمكن الوقوف على آراء تكشف عن موقف معين من نقد الشعر عند الشعراء القدماء.

يقف أبو عثمان الجاحظ إلى جانب آراء الشعراء السالفي الذكر في التأكيد على مقدرة الشاعر على ممارسة النقد دون غيره ، « إذ يرى حديثه عن الشعر الجيد أن البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتاب أعم، وعلى السنة حذاق الشعراء »³؛ أي أن الشاعر الحاذق أو الشاعر الفحل هو الذي ينقد شعره ؛حيث يقوم بتهذيبه وتنقيحه حتى تصل قصائده ونتاج شعره إلى النضج والجودة ، ويقوم بهذه العملية حولا كاملا ، ينتقي فيها أبلغ الألفاظ وأعذبها ويركز على المعاني حتى يبلغ شعره إلى حد الكمال.

¹ أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، بيتمة الدهر في شعراء أهل العصر ، تح:مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، لبنان ط1، 1983، ج4، ص: 34.

² ياقوت الحموي ، معجم الأديباء،تح: إحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، ط1، 1993، ص: 1989.

³ الجاحظ : البيان والتبيين ، مصدر سابق ، ص:34

ويرى الحسن ابن رشيق أن : « الشعر كالبحر أهون مايكون على الجاهل أهول مايكون على العالم، وأتعب أصحابه قلبا من عرفه حق معرفته ، وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته ، من نحو وغريب ومثل خبر وماشابه »¹ ؛ فالمقدرة على تذوق الشعر تختلف عن المقدرة على تحليليه منطقيا ، والقدرة على نظمه منشؤها طبيعة خاصة في النفس فالشاعر يتمسك بذاتيته وهو يمارس تجربته الشعرية ، وسعي الناقد إلى الإنعتاق منها ؛ لأنه يقدم رؤية موضوعية تتأمل ما يقدمه الشاعر وتعطي تصورهما عنه ، وتسمي كتابات الشاعر النقدية محاولة لمسايرة تجربته الإبداعية وأغلب آرائه تعبر عن جداله مع نفسه حول ما ينبغي أن يفعل في المرحلة التالية وما يجتنب.

ويقف أبو القاسم الأمدي موقفا مخالفا للآراء السابقة إذ يذكر على لسان صاحب أبي تمام «معللا رفضه لنقد دعل الخزاعي لأبي تمام أنه لايقبل قول شاعر في شاعر ، ولعل ذلك بسبب ما يزعمه من حسد دعل لأبي تمام »² ؛ لأن أحكامه لا تتال منزل شعر أبي تمام لأنها لا تستند إلى حجة مقبولة أو تعليل واضح لم تكن نقدا بالمعنى الدقيق للكلمة، وإنما هي إشارات خاطئة لم تفسر ولم تعلل. ولكن ذلك لا يحول دون الإفادة منها وإلتماس الأسس الجمالية التي نهضت عليها، ولا يعنينا في قليل أو كثير الدافع الشخصي إلى إصدار هذه الأحكام، فربما كانت من عوامل الحسد وقديم المنافسة بين الشعراء وهذا يعني رفضه لنقد الشعراء للشعر.

¹ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مصدر سابق ، ص:117.

² أبو القاسم الحسن الأمدي ، الموازنة بين الطائيين، تح: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ط1، 1961، ص

الفصل الثاني

الأحكام النقدية عند الشعراء النقاد

وقيمتها

- 1- الأحكام النقدية عند الشعراء النقاد
- 2- مظاهر النقد في التجربة النقدية للشعراء القدامى
- 3- القيمة النقدية لأحكام الشعراء

1- الأحكام النقدية عند الشعراء النقاد

أسهم الشعراء القدامى بدورهم في ممارسة النقد ؛ من خلال اللقاءات الأدبية العامة منها والخاصة ، التي كان يعقدها العرب في الحقبة الزمنية الأولى من بروز الشعر ، والتي كانت الميدان الميسر لهم للتعبير عن آرائهم وأحكامهم النقدية قبل مرحلة التأليف ، وقد واكبت هذه اللقاءات تقييم نقدي لما يطرحه الشعراء من نتاجهم الشعري ، وكانت هذه الأحكام النقدية في كثير من جوانبها ذاتية إنطباعية ، تعتمد في الغالب على مجرد إظهار الإعجاب والإستحسان ، بينما يميل القليل منه إلى التفسير والتعليل عند الشعراء وأهل العلم بالشعر.

وفي هذا الفصل نتحدث عن الأحكام النقدية للشعراء النقاد ، والبعض من آرائهم وتجاربهم النقدية في العصر الجاهلي ، ثم صدر الإسلام، والأموي وأخيرا العصر العباسي موضحين طبيعة نقدهم وأهم الأحكام النقدية التي أصدرت في كل عصر من العصور وكذلك بيان قيمتها النقدية.

أ- الأحكام النقدية للشعراء في العصر الجاهلي

ومن أهم الشعراء الوافدين على هذا السوق النابغة الذبياني ، ويعتبر من أكبر شعراء العصر الجاهلي ، وهو «زياد بن معاوية بن ضباب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن أسعد بن ذبيان بن بغيض بن ريت بن عطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ويكنى (بأبي أمامة) وأمه عائكة بنت أنيس الأشجعي»¹ ، قيل أنه لقب بالنابغة لقوله² :

وَحَلْتُ فِي بَنِي الْيَقِينِ فَقَدْ *** تَبَعْتُ لَهُ مَنَّا شُؤُونَ

واتفق العرب على الرضا بآراء النابغة وقضائه بين شعرائهم ، فكانوا يعتبرون أحكامه النقدية التي يصدرها وسيلة في تطوير النقد ، واستنهاض لهمم الشعر وإذكاءه لروح المنافسة

¹ أحمد الأمير الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط4 ، 2006 ، ص:127.

² المرجع نفسه ص: 127.

والمجد في القبيلة ، الذي يتمثل في فحولة وبراعة شاعرها ، والقضاء له بأنه أشعر العرب ، وقد عده ابن سلام الجمحي في «الطبقة الأولى وقرنه بامرؤ القيس والأعشى وزهير»¹ ، فكان الأقدمون أمثال ابن سلام يجمعون على تقديم النابغة الذبياني وتصنيفه ضمن شعراء الطبقة الأولى فالنابغة صاحب تجارب وإبداع تمكن من الصعود إلى قمة الجودة والفحولة لهذا عين على أنه أشعر العرب ، ومن استحسن شعره فهو شاعر فحل

وقد انتشرت تجاربه وأحكامه النقدية في عدة مجالس نذكر منها:

- مجلس مكة :

حيث كانت تضرب له قبة حمراء فيتوافد إليها الشعراء، من أجل الحكم على أشعارهم، فقد حضر «الأعشى وحسان بن ثابت إلى مجلسه فأنشده الأعشى قصيدته التي مطلعها :

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ *** وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِي

وأنشده حسان بن ثابت قوله:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرَّ يَلْمَعَنَّ بِالضُّحَى *** وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرَنَّ مِنْ نَجْدَةِ دَمًا

أما الخنساء فقد أنشدته قصيدتها في رثاء أخيها صخر :

قَدَّى بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ *** أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتِمُ الْهُدَاةُ بِهِ *** كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ تَارُ

فقال النابغة : لولا أن أبا بصير -يقصد الأعشى- أنشدني ، لقلت إنك أشعر الناس»²

¹ يوسف عطا الطريفي ، شعراء العرب في العصر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2009، ج 1 ، ص: 151.

² ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، دار النهضة العربية، لبنان ، ط3، 1986 ، ص: 11

ومن هذا ندرك منزلة النابغة عند معاصريه واحتكامهم إليه دون غيره ؛ إلا لقدرته على تمييز الجيد من الرديئ ، وكذلك على ماكان يتمتع به من علم بصناعة الشعر وملكة خاصة في النقد.

فنقد النابغة هنا اعتمد على إحساسه المباشر بالمعنى والفكرة فقد تلقاها وأصدر عليها حكما ذوقيا بفطرته البسيطة وسليقته التي صقلت ثقافته العربية وأحاطته بعادات وقيم وكذلك يركز النابغة الذبياني الربط بين الألفاظ والمعاني في نقده لبيتي حسان بن ثابت حين قال :

1

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعَرَّ يَلْمَعَنَّ بِالضُّحَى *** وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءَ وَابْنِي مُحَرِّقٍ **** فَأَكْرَمُ بِنَا خَالًا وَأَكْرَمُ بِنَا ابْنَمَا

فقال له النابغة : «أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك ، وأسيفك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك »²، أي أن حسان رضى الله عنه يفخر بقومه ، وكرمهم وأن لهم جفان ضخمة ؛ أي أوعية ضخمة للطعام تتصب في الضحى ليأكل منها الناس ، وفي نفس الوقت فهم شجعان وأسيفهم تقطر دما من كثرة نجدة الناس ، ثم يفخر بأنهم أحوال لهذين الحيين (بنى العنقاء) ، و (ابنى محرق) فأكرم بهم أخوالا ، وأكرم بهم أبناء وكلمة (ابنما) تعنى ابن ، ويجوز زيادة (ما) فيها.

طبعاً نقد النابغة واضح وهو ينبه إلى أن حسان لم يوفق في إختيار الألفاظ المناسبة التى تدل على معاني الكثرة والمبالغة ، كما أنه نقده فى معنى من المعانى وهو أنه فخر بأبنائه ولم يفخر بأبائه ، والعادة عند العرب أن يفخر المرء بأبائه ، ويترك لأولاده الفخر به.

¹ المزرياني ، الموشح في مآخذ الشعراء على العلماء ، مصدر سابق ، ص : 69.

² المرجع نفسه ، ص : 69.

ومن النماذج التي تنتظر إلى جودة الشعر أيضاً ، نقد أم جندب لشعر زوجها، وابن عمها علقمة الفحل ، فهو كما تقول الرواية : «إن الشاعرين احتكما إليها في أيهما أشعر؟ فقالت قولاً شعراً تصفان فيه فرسكما على روي واحد وقافية واحدة فقال امرؤ القيس :

خَلِيلِي مَرَا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ *** لِنَقْضِي لِبَانَاتُ الْفُؤَادِ الْمُعَذِّبِ

فَلِلْسُوطِ الْهُوبِ وَلِلْسَاقِ دُرَّةٌ *** وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعَ أَحْوَجُ مُنْعِبِ

فقال علقمة :

ذَهَبْتُ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ *** وَلَمْ يَكْ حَقًّا طَوْلَ هَذَا التَّجَنُّبِ

قالت لزوجها : علقمة أشعر منك، قال كيف؟. قالت : لأنك قلت :

فَلِلْسُوطِ الْهُوبِ، وَلِلْسَاقِ دُرَّةٌ *** وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعَ أَخْرَجَ مُهْذَبِ

فقالت : علقمة أشعر منك

فقال : وكيف؟؟ قالت : لأنك قلت وهدت فرسك بسوطك في زجرك ، ومريته فأتعبته

بساقك

وقال علقمة:

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عَنَانِهِ *** يَمُرُّ كَمُرِّ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه ولم يضربه ، ولم يتعبه بسوط ولا مراه بساق ولا جزر

قال امرؤ القيس : ماهو بأشعر مني ولكنك به وامق ، فطلقها فخلف عليها علقمة وسمي بعلقمة الفحل ¹ ، فإذا نظرنا إلى هذا النموذج نلاحظ أن كلا من الشاعرين وصف فرسه في حال الجري، فعلقمة قد وصف المثل الأعلى لجري الفرس، فبالغ إذ جعل فرسه يدرك الصيد، وصاحبه علقمة الراكب عليه ثنى عنانه ، ولم يضربه بسوطه، ولم يتعبه ولم

¹ المزرباني : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، مرجع سابق ، ص : 28.

يكلفه فوق طاقته، فطاقته عالية لأنه أقوى الأفراس وأسرعها، وإذا استطاع أن يدرك الصيد بقوته المعتادة دون جهد منه، ودون إجهاد له من ركبه.

وأما امرؤ القيس فقد وصف واقع فرسه فبين أنه ألهبه بسوطه، وأجهده بزجره، ولولا الضرب والزجر ما أسرع الفرس.

و «لقد نظرت زوج امرؤ القيس الى الصورة المثلى للفرس، وما ينبغي أن يكون له من قوة وسرعة ، فجعلته المقياس الذي تحكم به للشاعر أو عليه ، ومن هنا حكمت لعقمة بالتفوق والشاعرية ، وخذلت زوجها امرأ القيس»¹ ، فحكم أم جندب اعتمد على سليقتها العربية الحساسة ، وربطها بين الشاعر وبيئته وما يكون فيها.

ومن الأمثلة الواضحة كذلك ماروي عن أبي عبيدة قال : «مر المسيب بن علس بمجلس قيس بن ثعلبة فاستنشده ، فأنشدهم :

أَلَا أَنْعِمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّيعُ وَأَسْلِمٌ *** مُحَيَّاكَ عَنْ شَعَطٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمْ

وَقَدْ أَتَنَاسَى الْهَمَّ عِنْدَ أَذْكَارِهِ *** بِنَاجِ الصَّيْعَرِيَّةِ مُكْدَمٌ

فقال طرفة : وهو صبي يلعب مع الصبيان ، استنوق الجمل »² ، لأن ابن علس وصف جملة بالصيعرية وهي سمة في عنق الناقة، لا البعير كما استعملها العرب ، وقد استعملها المسيب خطأ في وصف الجمل ، فسخر منه طرفة بن العبد بعبارة " استنوق الجمل " ومن هنا نلاحظ أنه أدرك بفطرته ونبه الشاعر عن خطأه بهذه العبارة التي صارت مثلاً فكانت النصوص النقدية في العصر الجاهلي نصوص وأحكام بسيطة حيث كان الناقد يعتمد على ذوقه الفطري ، يوجه نقده في الشعر في كلمة أو جملة تجاه بيت أو عدة أبيات دون تحليل ، ولا تفسير فالأحكام التي صدرت من الشعراء النقاد كانت تحت تأثير الانطباعات الأولوية السريعة الذوقية ، ولم تصدر عن تفكير عميق وتأمل ودراسة معمقة كما

¹ ليلي عبد الرحمان الحاج قاسم ، الذوق الأدبي في النقد القديم ، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، السعودية، دط ، 1984، ص: 29.

² المزرباني ، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، مرجع سابق ، ص: 93.

تكون هذا الأحكام مبنية على الإنفعال والتأثر والنظرة السريعة ، ولم تُبن على قواعد وأسس علمية صحيحة ، ويتميز هذا النوع من الأحكام النقدية بالسذاجة والبساطة والمبالغة في إصدار الأحكام، أنها أحكاماً جزئية عامة سريعة غير معقدة.

ب- في صد الإسلام

بقي النقد في صدر الإسلام كما كان عليها الحال تقريبا في العصر الجاهلي ، فلم يكف العرب عن النظر في الشعر والمفاضلة بين الشعراء ، والظاهر أن النقد خلال هذه الفترة لا يزال فطريا ، كما في قصة حسان والزبرقان ، وموقف الأقرع بن حسان من الشاعرين ، فهو لم يعط مبررا أو أبان عما أعجب به ، أو ذكر سببا لتفضيل شاعر عن شاعر آخر ، وعلاوة عما ذكرنا كانت مجالس خلفاء الراشدين ، لا تخلو من وفود العرب وشعرائهم فيخوضون في رجالات الجاهلية من شعراء وأبطال وأجواد وربما خاض الخليفة فيما خاضوا ، ومن ذلك :

« ماروي عن عمر بن الخطاب وكان عالما بالشعر بصيرا له ، أنه تحدث مرة مع وفد من عطفان فقال: ¹

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْلَى رَسُولَهُ *** بَلَاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فَضْلِ

ويرد عليه الحارث بقصيدته على وزنها ورويها فيقول ²:

عَجَبْتُ الْأَقْوَامُ تُغْنِي سَفْيَهُ *** بِأَمْرِ سِقَاهُ ذِي اعْتِرَاضٍ وَذِي بَطْلِ

وينشد ضرار بن الخطاب بن مرداس مشجعا كفار قريش ، ومتوعدا بالنيل من الأنصار والانتقام منهم: ³

عَجِبْتُ لِفَخْرِ الْأَوْسِ وَالْحِجِينَ دَائِرٍ *** عَلَيْهِمُ وَالْدَّهْرُ فِيهِ بَصَائِرُ.

¹ محمد بن يوسف صالح الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، في سير خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في مبدأ المعاد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص : 278.

² عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المغافري ابو محمد ، السيرة النبوية لإبن هشام ، مرجع سابق ، ص : 280.

³ ابو ربيع سليمان بن موسى الملاعب الاندلسي ، تح محمد كمال الدين عز الدين ، علي عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1417 ، ص : 46.

فيجيبه كعب بن مالك :¹

عَجَبَهُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرٌ *** عَلَى مَا أَرَادَ يَسُبُّ اللَّهُ قَاهِرٌ

﴿ ويفزع عبد الله بن الزبيري من الهول ، مارأى في بدر ويرثى القتلى من سادة قريش فيقول :

مَاذَا عَلَى بَدْرِ وَمَاذَا حَوْلُهُ *** مِنْ فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ كِرَامٌ

فيشمت به حسان بن ثابت ويرد عليه قائلا:

إِيْكَ بَكَتْ عَيْنَاكَ ثُمَّ تَبَادَرَتْ *** بِدَمٍ تَعْلُ غُرُوبَهَا سِجَامٌ ﴾²

ومن هذه النقائض وغيرها مما قيل في الشعر في تلك المواقف ، تتبين تنبيه ملكة النقد عند العرب في صدر الإسلام ، فصاحب النقيضة يتتبع ماقال نقيضه ويبنى قصيدة على نفس الشكل ونفس القافية وحرف الروي وكذلك نذكر قصة الحطيئة من ذلك مارواه أبو عبيدة من أنه -الحطيئة - حضر مأدبة عشاء أقامها سعيد بن أبي العاص والي المدينة وكان في هيئة رثة ، بحيث لم يعرفه أحد ، عندما بدأ الناس يخرجون تباطأ الحطيئة فلم يخرج معهم ، وذهب الشرط يقيمونه فأبي أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاته فقال: دعوا الرجل فتركوه وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارهم مليا ، فقال لهم الحطيئة :والله ما أصبتم جيد.

﴿ حيث اشتكى (الزبرقان بن بدر) وهو رجل ذو مكانة في قومه ،للخليفة عمر هجاء الحطيئة له بقصيدة :

دَعِ الْمَكَارِمَ لِاتَّحِلَّ لِبَغِيَّتِهَا *** أَفْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فحاول سيدنا عمر رضي الله عنه ،أن يهون عليه وقع كلام الحطيئة ،وأن يفهمه أنه إنما أراد معاتبته لاهجاءه ، لكن الزبرقان لم يقتنع ، وبقي مصرا على دعواه وشكواه، فأرسل عمر

¹ محمد بن يوسف الصالحي الشامي ،سبيل الهدى والرشاد في سیر خير العباد ،مرجع سابق ،ص:126.

² عبد الملك بن هشام بن الحميري المغافري أبو محمد ،السيرة النبوية الإبن هشام ،مرجع سابق ،ص:280.

رضي الله عنه إلى حسان بن ثابت ، وهو من أشهر الشعراء في زمن الخلفاء الراشدين يطلب رأيه في قول الحطيئة ، فقال حسان : لم يهجه ولكن سلح عليه ، فحبسه عمر وقال : ياخيبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين »¹.

قد ذكر ابن سلام أن عمر رضي الله عنه، كان يعلم من ذلك دون الحاجة لحسان ولكنه أراد الحجة على الحطيئة ، فهو لم يكن محتاج إلى حسان ولكنه لم يكن له علم بالشعر ، واستجد بحسان لأنه شاعر فحل ،عالم بأصول الشعر ،والفاروق لا يصدر حكماً إلا بعد التثبت والتحقق لأنه قاض وواجبه الاول إقامة العدل.

هذه العبارات لم تخرج عن كونها ملاحظات جزئية لا تكون مذهباً نقدياً متكاملاً مهما كانت درجة ذكائها، فهي تعبر عن الأذواق الخاصة والذاتية وعلى الرغم من إنصراف الكثير من شعراء هذا العصر إلى الإهتمام بحفظ القرآن الكريم ، ودراسته فهمه، وإنشغالهم بالجهاد في سبيل الله ونصرة الرسول ، والتصدي للكفار بإقامة حرب كلامية معهم ،مما ظهر شعر النقائض ، فصار للتشبت بينهم وبين شعراء قريش عند اشتداد المعارك ، وفي ما قيل من الشعر في تلك المواقف نلاحظ روح النقد والتتبع بين الشعراء أنفسهم ،وتتبين منه أن الأصل الذي بنى عليه جرير والفرزدق نقائضهما وقد وجد كامل الأركان في تلك الفترة يقول حمزة بن عبد المطلب فرحاً بانتصار الرسول والمسلمون في غزوة بدر :²

أَلَمْ تَرَ أَمْرًا كَانَ مِنْ عُجَبٍ *** وَلِلْحَيْنِ أَسْبَابٌ مُبِينَةُ الْأَمْرِ

فيتصدى له الحارث بن هشام ، محاولاً نقض قصيدته بقصيدة على وزنها وروبيها فيقول:³

أَلَا يَا قَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالْهَجَرِ *** وَلِلْحُزْنِ مِنِّي وَحَرَارَةٍ فِي لَصَدْرِ

¹ ابن قتيبة الشعر والشعراء ، مرجع سابق، ص:203.

² عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعارفي أبو محمد، السيرة النبوية لابن هشام ،تح :عبد الله الرؤوف سعد،دار الجيل،بيروت،دط،1411،ج3،ص:278.

³ المرجع نفسه،ص:280.

الشعر ولا شاعر العرب » فقال له سعيد: أتعرف من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ، قال :
فمن أشعر العرب ؟ قال:

لَا أُعِدُّ الْإِفْتَارَ عَدَمًا وَلَكِنْ *** فَفَدَّ مَنْ قَدَّ رَزْنَتُهُ الْإِعْدَامَ

وأنشدها حتى أتى عليها ، فقال له : من يقولها ؟ قال : أبو داود الإيادي قال : ثم من ؟
قال الذي يقول ¹:

أَفْلَحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُدْرِكُ *** بِالْجَهْلِ وَقَدْ يَخْدَعُ الْأَرِيبَ

» ثم أنشدها حتى فرع منها قال: من يقولها ؟ قال : عبيد بن الأبرص

قال : ثم من ؟

قال: والله لحسبك بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت
في أثر القوافي عواء القصيل الصادي ² »

فالملاحظات التي صدرت من الحطيئة ، أتت عفوية صادرة عن ذوق شخصي
إنطباعية ، ذاتية ، فهي غير مرتبطة بقاعدة معينة، ولم يذكر الحطيئة علة ولا سبب لهذا
الحكم النقدي ، على الرغم من كونها صادرة عن شاعر فحل ، عبقرى في نظم الشعر
ومتعلق به ، وقادر على نقده ، وخلاصة القول أن النقد في صدر الإسلام كان امتدادا للنقد
الجاهلي ، إلا أنه لم يتغير في شكل العرض ، إنما تغير بالمضمون فالأحكام النقدية التي
نجدتها هي أحكام ذاتية إنطباعية تأتي من الذوق الشخصي والفحولة العبقريّة.

و فيما روى » عن عمر بن الخطاب حين قال : فأبي شعرائكم الذي يقول :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي *** وَإِنْ خَلَّتِ الْمُنتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

قالوا: النابغة.

¹ ديوان عبيد بن الأبرص ، شرح أحمد غنوه، دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،دط، 1994، دج:ص22

² الاصفهاني ،الاغاني ،مرجع سابق :ص229.

قال : هذا أشعر شعرائكم

فالنابغة في رأي عمر أشعر عطفان ، وأشعر شعراء الذبيان ، أشهر من عنتره، ومن عروة بن وليد ، ومن الشماخ بن ضرار»¹ ، فالخليفة كانت نظراته في أشعار العرب ثاقبة جميلة ، وكان يميز بين جيد الشعر ورديئه، ويطلق أحكاما إنطباعية ذوقية ، وقد أشتهر بذلك من بين الخلفاء الراشدين، وكان أعلمهم بالشعر وأقدرهم على تقويمه وتمييزه، فكان كثيرا ما يعجب بقول شاعر، ولكنه حين يسمع قول شاعر آخر يؤثر فيه ، فيستحسنه وسرعان ما ينسى حكمه السابق فيحكم على هذا بأنه أشعر الشعراء ، وكما ذلك إلا أن تلك الأحكام إنما هي وليدة ساعتها وليست نتيجة التأمل والرؤية.

وتروي كتب الأخبار والتاريخ الأدبي قصة "الخطيئة" المعروف عنه أنه شاعر هجاء أي كثير الهجاء، فهو قد هجا أمه وأباه وضيوفه بل وهجا نفسه أيضا ، أما عن المحاكمة الشعرية التي دارت وقائعها في عهد عمر بن الخطاب ، «حيث اشتكى (الزريقان بن بدر) ؛ وهو رجل ذو مكانة في قومه ، للخليفة عمر هجاء الخطيئة له بقصيدة :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلِ لِیَغِيَّتْهَا *** أَفْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فحاول سيدنا عمر رضي الله عنه ، أن يهون عليه وقع كلام الخطيئة ، وأن يفهمه أنه إنما أراد معاتبته لا هجاءه ، لكن الزريقان لم يقتنع وبقي مصرا على دعواه وشكواه ، فأرسل عمر رضي الله عنه إلى حسان بن ثابت وهو من أشهر الشعراء في زمن الخلفاء الراشدين يطلب رأيه في قول الخطيئة ، فقال حسان : «لم يهجه ولكن سلح عليه ، فحسبه عمر وقال : ياخيبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين»² ، قد ذكر ابن سلام أن عمر رضي الله عنه ، كان يعلم من ذلك دون الحاجة لحسان ، ولكنه أراد الحجة على الخطيئة ، فهو لم يكن محتاج إلى حسان ولكنه لم يكن له علم بالشعر، وإستجد بحسان لأنه شاعر فحل،عالم

¹ طه أحمد إبراهيم ،تاريخ النقد عند العرب، مرجع سابق:ص29.

² ابن قتيبة الشعر والشعراء ،مرجع سابق،ص:203.

بأصول الشع ، والفاروق لا يصدر حكما إلا بعد التثبت والتحقق لأنه قاض وواجبه الأول إقامة العدل.

هذه العبارات لم تخرج عن كونها ملاحظات جزئية ، لاتكون مذهباً نقدياً متكاملًا مهما كانت درجة ذكائها ؛ فهي تعبر عن الأنواق الخاصة والذاتية وعلى الرغم من إنصراف الكثير من شعراء هذا العصر، إلى الإهتمام بحفظ القرآن الكريم ودراسته ، وفهمه، وإنشغالهم بالجهاد في سبيل الله ، ونصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتصدي للكفار بإقامة حرب كلامية معهم ، مما ظهر شعر النقائض ، فصار التشبث بينهم وبين شعراء قريش عند اشتداد المعارك ، وفي ما قيل من الشعر في تلك المواقف ، نلاحظ روح النقد والتتبع بين الشعراء أنفسهم ، وتنبين منه أن الأصل الذي بنى عليه جرير والفرزدق نقائضهما ، وقد وجد كامل الأركان في تلك الفترة.

يقول حمزة بن عبد المطلب فرحا بانتصار الرسول والمسلمون في غزوة بدر :¹

أَلَمْ تَرَا أَمْرًا كَانَ مِنْ عُجْبٍ *** وَلِلْحَيْنِ أَسْبَابُ مُبَيِّنَةِ الْأَمْرِ

فيتصدى له الحارث بن هشام محاولا نقض قصيدته بقصيدة على وزنها وروياها فيقول :²

أَلَا يَأْقَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالْهَجْرِ *** وَلِلْحُزْنِ مِنِّي وَحَرَارَةٍ فِي الصَّدْرِ

ج- العصر الأموي

أشرنا إلى التجربة النقدية عند الشعراء ؛ حيث ينظر الشاعر في قصيدته فيقوم ببعض التعديل ، والتقيق ، بإعتباره ناشدا للقصيدة ومتلقيا في الوقت نفسه ، وقد يتعدى الشعراء إلى النظر في شعر غيرهم، كما فعل النابغة الذبياني في العصر الجاهلي مع الخنساء

¹ عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعارفي ابو محمد، السيرة النبوية لابن هشام ،تح عبد الله الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، دن، 1411، ج3، ص:278.

² المرجع نفسه، ص:280.

والأعشى وحسان بن ثابت ، وكذا في العصر الإسلامي فقد مارس حسان بن ثابت النقد حين إستشاره عمر بن الخطاب في قصيدة للحطيئة التي هجا بها الزبرقان.

وفي عصر بني أمية ، استمد نقد الشعراء على الذوق الفطري في بيئة الحجاز والشام والعراق ، وأقيم على الطبع والسليقة ، ومن ثم كان التعليل فيه فطريا ساجذا بعيدا عن العلم والمنهج ، والقواعد وتركز على الشعراء مشهورين وهم جرير والأخطل والفرزدق ، ويروي أن عكرمة بن جرير أباه قائلا: « يا أبة من أشعر الناس ؟ فقال :الجاهلية تريد أم الإسلام ؟ قلت أخبرني عن الجاهلية ، قال شاعر الجاهلية زهير، قلت : فالإسلام ؟ قال: فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني فإني بحت الشعر بحرا »¹ ، فجير حكم بالتفوق على صاحبيه مع عدم نفيه لكفاءتهما، ومهارتهما الشعرية ، وفضل نفسه على أبي سلمى والفرزدق فقد أطلق حكما عاما مع عدم تعليله من أهوائه الشخصية.

وفي موضوع آخر ورد في كتاب الأغاني أن عبد الملك بن مروان وابنه قال :

« لجرير من أشعر الناس ؟ قال:إبن العسكريين قال: فما رأيك في ابني أبي سلمى ؟ قال : كان شعرهما نيرا يا أمير المؤمنين قال: فما تقول في ذي الرمة؟ قال: قدر من ظريف الشعر، وغريبه وحسنه مالم يقدر عليه أحد، قال: فما تقول في الأخطل ؟ قال : في يده والله يأمير المؤمنين نبعة من الشعر قد قبض عليها ، قال : فما أراك أبقيت لنفسك شيئا ، قال : بلى والله ياأمير المؤمنين إني لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليه يعود ، نسيت فأطربت ، وهجوت فأرديت ، ومدحت فسنيت ، وأرملت فأعزرت ، ورجزت فأبحرت ، فأنا قلت ضروب الشعر كلها ، وكل واحد منهم قال نوعا واحدا قال: صدقت »²

فجير من هذه المحاوره فضل إبن العشرين ، وهو طرفة بن العبد في موضع سابق كان قد فضل زهير بن أبي سلمى فتفضيل الشعراء وكلمة "أشعر الشعراء"، تتبدل بتبدل

¹ إحسان النص ،إختبارات من كتاب الأغاني لأبي فرج الاصفهاني ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط2، 1980،ص:150.

² المرجع نفسه ،ص:178.

المكان والزمان ، وليست حكما ثابتا عاما ، بل إنه يخضع لتلك اللحظة التي آلت لسماع القصيدة مباشرة ، وهذا ما يؤدي إلى تناقض الأحكام بين اللحظة والأخرى كما رأينا عند جرير الذي حكم لصالح زهير في الأول ثم حكم لصالح طرفة، فهذه الأحكام النسبية؛ جاءت من نفسية الشاعر الذي اتبع خطى النقد في العصر الجاهلي الذي كان بلونا إعتباطيا ذوقيا ، فقد فضل زهيراً في المحاورة الأولى، وقال بأنه أشعر شعراء الجاهلية، وفي صدر الإسلام اختار الفرزدق ، وعندما سأله السائل عن أبنبي زهير وهما كعب زهير قال : لأن شعرهما نير، وأما إمرؤ القيس فقال عنه أنه تحكم في الشعر واعتلاه وقال إنه لو أدركه لرفع ذلائله ، ولعل جرير أراد منافسة الشاعر في هذا التفوق، ووضعه الرمة بأنه قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه ما لم يقدر عليه أحد ، ثم وصف أحد من مخلصيه وهو الأخطل وأشار إلى مسيحيتة، ثم وضعه الفرزدق بأنه قابض على أصل الشعر، وعندما سئل عما أبقاها لنفسه قال : بأنه مدينة الشعر منها يخرج وإليها يعود ، إذ خاض في مختلف الأغراض الشعرية من هجاء ومدح وإلى غيرهم من ضروب الشعر وتفق فيها ، بينما تميز غيره بالتفوق في غرض واحد فقط ، وهذا ما يشترط في معيار الفحولة ، والتفوق الخوض في جميع الأغراض والتفوق فيها.

فالملاحظ هنا أن جريراً أطلق أحكاماً عامة ، لا تعتمد على مقاييس محددة إعتباطية على مبدأ التعميم ، دون ذكر أي علة ولا سبب ، كما أن هذه الأحكام لم تكن على دراسة كافية لشعر هؤلاء الشعراء ومعرفة شاملة لخصائص لكل منهم ، بل جاءت بناء على معرفة سطحية وعامة بهؤلاء الشعراء بناء على سليلته السليمة، لكنه عندما تحدث عن شعره وحكم على شاعريته ذكر بعض المواصفات منها : كثير الشعر تنوع واختلاف الأغراض الشعرية والتفوق وبراعة في كل غرض » وقد صارت هذه المقاييس أسساً متداولة بين النقاد حين يفاضلون بين الشعراء «¹ ، وهي كثرة الشعر والتنوع في أغراض والبراعة فيها

¹ عالية علي ،محاضرات في مقياس النقد العربي القديم ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،ط1، 2004 ،ص:114.

« ويروى عن أبي عبيدة في سبب إقتحام الأخطل حمأة التهايش، التي دارت بين جرير والفرزدق، أنه قال لابنه مالك الذي كان أكبر أبنائه وله يكنى : إنحدر إلى العراق حتى تسمع منهما ، وتأتيني بخبرهما، فانحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما، ثم أتى أباه فقال له : كيف وجدتهما ؟، قال : وجدت جريرا يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق يبحث من الصغر ، فقال الأخطل : الذي يغرف من بحرا أشعرهما ، وقال يفضل جرير على الفرزدق:

1

إِنِّي قَضَيْتُ قَضَاءَ غَيْرِ ذِي جَنْفٍ. *** لَمَّا سَمِعْتُ وَلَمَّا جَاءَنِي الْخَبْرُ

إِنْ الْفَرَزْدَقَ قَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ. *** وَعَصَهُ حَيَّةٌ مِنْ قَوْمٍ ذَكَرَ»

يشكك عبد الجبار المطلبي في هذه الرواية ، إذ يستبد مطالعة الأخطل وهو في الجزيرة فأرسل ولده مالك لينظر إلى أمرهما ، وإذا قبلنا صحة هذه الرواية فمن غير المعقول أن يقبل بهذا الحكم دون الإطلاع الواسع على آثار الشعارين ، ولهذا قد شكك عبد الجبار المطلبي في هذه الرواية ، وحتى الروايات الأخرى التي خاضت في مسألة جرير والفرزدق ، هي في محل الشك لأنها تحمل بشئ من العصبية والإنحياز العاطفي.

وإذا أخذنا بصحة الرواية السابقة السالفة الذكر؛ فإنها تخلو من أي معيار نقدي في المفاضلة بين جرير والفرزدق وتفضيل جرير ، والحقيقة أن مقولة : « جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر»² ، وترددت على أكثر من لسان وهي لخصت خصائص ومميزات كل شاعر ، فالمعروف أن شعر جرير شعر سهل ، وكثير ومتعدد الأغراض والبحور إلا أن شعر الفرزدق شعره ضعيف.

« وروي أبو يحيى الضبي أن جرير والأخطل والفرزدق ، اجتمعوا لدى بشر بن مروان، فقال للأخطل أحكم بين الفرزدق وجرير، فقال : اعفني أيها الأمير فأكد بشر عليه

¹ إحسان النص ،اختيارات من كتاب الاغانى لأبي فرج الاصفهاني ،مرجع سابق ،ص:89.

فقال: هذا حكم مشؤوم ثم قال : الفرزدق ينحت من صخر إلى صخر، وجريير يغرف من بحر إلى بحر ، فلم يرضى جريير بهذا الحكم وهجا الأخطل قائلاً :

يَاذَا الْعَبَاوَةَ أَنْ بَشْرًا قَدْ قَضَى *** أَلَا تَجُورُ حُكُومَةَ النِّشْوَانِ

فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لِسُنُّمٍ مِنْ أَهْلِهِ *** إِنَّ الْحُكُومَةَ فِي بَنِي شَيْبَانَ. ¹ »

واتهم جريير الأخطل بالرشوة فقال : »

رَشَتْكَ مَجَامِعُ سُكْرًا بِفَلْسٍ *** فَلَا تَهْنِكَ رَشْوَةٌ مِنْ رَشَاكَ

فقال الأخطل يرد على جريير :

وَلَقَدْ تَنَاسَيْتُمْ إِلَى أَحْسَابِكُمْ *** وَجَعَلْتُمْ حُكْمًا مِنَ السُّلْطَانِ

فَإِذَا كُلِّبَ لَا تُسَاوِي دِرْهَمًا *** حَتَّى يُسَاوِي حُزْرُمَ بَابَانَ ² »

استمر الهجاء بين الأخطل وجريير وتناقلت أشعارهم بين الناس ومع ظهور شعر النقائض فهو لم يكن يمثل فقط ثأراً شخصياً بل كان مجالاً للمناقشة بين الشعراء ، واستوقف العرب كثيراً لعودته بهم إلى الجاهلية التي لازالت تجري في عروقهم، واعتدت النقائض في صورتها الكاملة على العناصر الأساسية في لغة الشعراء ، منها النسب الذي يهاجم به بعض الشعراء خصومهم ، وكان يتخذ من النسب مادة لتحقير أو التشكيك أو نفي الشاعر عن قومه وجعلوها، إحدى ركائز هجائهم، ولابد ملاحظة الدوافع القبلية والشخصية لهذا التهاجي والفرزدق لم يهج دفاعاً عن قبيلة فقط بل لأنه أراد منافسة جريير على زعامة تميم الشعرية ، كما أن الأخطل سخط أيضاً على جريير لأنه مدح قبيلة قيس المعادية لبني تغلب رهط الأخطل، كما أنه خاف أن يزاحمه جريير على مكانته في بني أمية.

¹ عبد الجبار المطليبي ، الشعراء نقادا دراسات في الادب الإسلامي والأموي ، دار الشؤون الثقافية العامة العراق، دط، 1986، دج، ص: 43.

² المرجع نفسه ، ص: 91.

والنقائض لم تكن تمثل ثأراً شخصياً فقط ، بل كانت مجالاً للمنافسة بين الشعراء وخصائصها الفنية ، وتاريخها لماضي القبائل وقوة أسلوبها ، ومبالغتها في الخيال جعلها تقدم للادب العربي ثروة أدبية هائلة ، وسجلاً تاريخياً للكثير من الوقائع والأحداث في العصر الأموي وما قبله.

وكذلك من وقفات الشعراء مع نقد الشعر، ولو أنها كانت لا ترتقي إلى المستوى المأمول ، كانوا يلتقون في أحيان كثيرة للمتعة والسمر، وكانت مادة حديثهم كلما جمعهم المجلس هي الشعر ومما يتعلق به ، كانوا يتدارسونه فينظرون في محاسنه وينقدون عيوبه.

وكان عمر بن أبي ربيعة أوفر الشعراء حظاً من هذا النقد في هذا العصر : « يروي أنه قدم المدينة، فالتقى فيها الشاعرين الأحوص ، ونصيب فتحدثوا في الشعر ملياً، ثم سألهما عمر عن كثير عزة، فقالا: هو هاهنا قريب ، فأنطلقوا إليه ، فلقوه جالسا في خيمة له ، فجلسوا وجعلوا يتحدثون في الشعر والشعراء ، وأفاضوا في ذلك، فألفت كثير إلى عمر بن أبي ربيعة، فقال : إنك لشاعر لولا أنك تشب بالمرأة ثم تدعها وتشيب بنفسك ، أخبرني عن قوتك :

ثُمَّ اسْتَبْطَرْتَ تُشِيدُ فِي أَنْرِي *** تَسْأَلُ أَهْلَ الطَّوْافِ عَنْ عُمُرُ

والله لو وضعت بهذا هرة أهلك لو كان كثيرا ! ألا قلت كما قال هذا ، وأشار إلى الأحوص:

وَمَا كُنْتُ زَوَارًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى *** إِذَا لَمْ يَزُرْ لَا بُدَّ أَنْ سِيَزُورُ

فأنكسرت نخوة عمر بن أبي ربيعة ودخلت زهوة ثم التفت إلى الأحوص،

فقال : أخبرني عن قولك :

فَإِنَّكَ تُصَلِّي أَصْلُكَ وَإِنْ تَبْنِي *** يَهْجُرُكَ بَعْدَ وَصْلِكَ مَا أَبَالِي

أما والله لو كنت حراً، يا ليت لو كسر أنفك ، ألا قلت كما قلت هذا الأسود ، وأشار إلى نصيب:

بَرِيْنَبِ أَلْهَمَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرُّكْبُ *** وَقُلْ إِنَّ تَمَلِّينَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبِ

فأنكسر الأحوص ، ودخلت نصيب زهوة ، ثم إنتفت إلى نصيب فقال له : أخبرني عن قولك من الطويل :

أَهِيْمُ يَدٌ عَدَّ مَا حَبِيْتُ فَإِنَّكَ فَإِنْ أُمْتُ *** فَيَاوَيْحُ دُعْدُ مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي

أهمك ويحك من يفعل بها بعدك ؟ ، فقال القوم :الله أكبر أستوت الفرق قوموا بنا من عند هذا¹

فكثير الشاعر الناقد يكشف لنا باب الأحكام النقدية ، ويتناول معنى في شعر عمر تردد كثير وقد رأى كثير، في هذا عيباً في المعنى أي أن النقد تناول المعنى وهو صورة من صور النقد المعلن، فلا يكتفي الناقد هنا ينقد هذا المعنى بل يردف ذلك بتعليل هذا النقد.

ولم تكن الآراء النقدية التي أصدرها نصيب بن رباح ، بعيدة عن طبقات آراء الشعراء النقاد في العصور السالفة ، إذ بدأت إنطباعية معممة غير مصحوبة بالتعليل ، وقد حكم نصيب لعمر بالتفوق على نفسه في غرض الغزل حيث قال : «لعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحجال² ، ويظهر حكم نصيب مصحوباً بشئ من الفخر والإعتزاز بأبي ربيعة لبلوغه رتبة في الغزل فاقت سواه ، ولعل تأثر به في شعره وسار على نهجه في شعر الغزل الصريح ،الإعتراف ضمنى بمدى إعجابه بشعر عمر، ووقع تأثيره على نفسه.

» ويشهد شاعر الغزل العذري جميل بن معمر، لعمر بن أبي ربيعة بتفوقه حين سمعه ينشد قصيدته التي مطلعها :

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا *** فَفَرَّينِي يَوْمَ لِلْحِسَابِ إِلَى قَبْلِي

¹ ابن عبدريه الأندلسي،العقد الفريد ،تح محمد قميحة ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1،1998،ج8،ص: 190.

² المرجع نفسه، ص:192.

فقال: هيهات يا أبا الخطاب ، لأقول والله مثل هذا سيجس الليالي، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مستمرا ¹ .

يبدو حكم جميل على نحو من سبقه حكما انطباعيا غير مغلل، يستند إلى الذوق بكل ما أوتى من قوة ، كما يبدو مغمورا بالإنفعال العاطفي المصحوب بحركة القيام والتشمير، فكأنه يضع نقطة بعد حكمه فلا يجوز بعده نقض أو رأي يخالفه.

د-العصر العباسي

بعد الإزدهار الكبير الذي شهدته الدولة العربية في العصر العباسي ، بسبب احتكاكها مع الدول الأخرى، والتطلع على ثقافتهم وحياتهم الأدبية والفكرية ، وإذا نظرنا في هذا العصر نجد أن النقد للشعراء لم « يقف على الصياغة والشكل ، وعند تحديد المعنى والألفاظ ؛ بل مضو يتذوقون الشعر ويفهمونه ، ويدركون مايمتاز به شاعر عن شاعر ، ويوازنون بين بعض الشعر، ويضعونهم في طبقات مفضلين بعضهم عن بعض » ² ، نجد أن النقد في هذا العصر يخطي خطأ واسعة ومعرفة عميقة بأصول الشعر، والقدرة على إعطاء تفسيرات وتعليقات لأحكامهم النقدية، ومن الشواهد النقدية للشعراء في هذا العصر نجد بشار بن برد أول شاعر يلفت الانتباه بين الشعراء الذين مارسوا النقد في العصر العباسي ، «فقد كانت له مجلس في منزله يسميه البردان » ³ ، يجتمع فيه الشعراء ، يعرضون فيه نتائجهم الفني بغية معرفة المستوى الفني الذي بلغوه ، وللاستفادة من الملاحظات الموجهة لهم من آراء بشار بن برد حول نتائجهم الشعري ، إدراك منهم من مستواه اللغوي والفني الجيد والذوق الأدبي الرفيع ، «وممن فعل ذلك مروان بن أبي حفصة الذي كان يعرض شعره على بشار لتقييمه » ⁴ ، فالنقد عند بشار يتميز بقيمته الفنية التي تفوق بها عن الذين سبقوه في هذا المجال، فهو يميز بين السرقات الشعرية ، وأخذ في إعادة تشكيل

¹ ابن عبدريه الأندلسي،العقد الفريد،مرجع سابق، ص: 192.

² أحمد محمد بدوي ، أسس النقد عند العرب ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1996، ص:15.

³ ابي الفرج الاصفهاني، الأغاني ، مصدر مرجع ،ص : 169.

⁴ المزرياني : الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، مرجع سابق ، ص : 396.

المعنى وإيجازه وتلويحه ،ويتجلى ذلك في « حوار مع سلم الخاسر الذي استنقص سرقة احد أبياته التي قال فيها :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته **** وفاز بالطيبات الفاتك للهج

فقال سلم الخاسر قصيدة أدخل فيها معنى هذا البيت فقال:

من راقب الناس مات غمًا **** وفاز باللذة الجسور

إذ قال له بشار : أفتأخذ المعاني التي عنيت بها وتعبت في استنباطها، فتكسوها ألفاظا أخف من ألفاظي، حتى يروى ما تقول ويذهب شعري لا أرضى عنك أبدا ¹ ، وكانت سلامة قريحة بشار سبباً من الأسباب التي جعلته خبيراً في نقد الشعر. قال أبو عبيدة:

«سمعت بشاراً يقول وقد أنشد في شعر الأعشى :

و أنكرتني وما كان الذي نكرت **** من الحوادث إلا الشيب والصلع

فأنكره : وقال هذا بيت مصنوع مايشبه كلام الأعشى، فعجبت لذلك ، فلما كان بهذا بعد عشر سنين كنت جالسا عند يونس، فقال : حدثني ابو عمرو بن العلاء، أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى، فجعلت حينئذ ازداد عجباً من فطنة بشار، وصحة قريحته وجودة نقده للشعر ² ؛ أي أن بشار أدرك أن هذا البيت منحول، وأنه لايشبه سائر أبيات قصائد الأعشى ، ولهذا أنكر بشار البيت لحظة سماعه، في حين أن أبا عبيدة لم ينتبه لهذا الأمر، وهو من أشهر رواة الشعر ونقاده، لذا احتل بشار مركز الصدارة بين شعراء عصره بما تميز به من ملكات فطرية وعقلية خاصة هذه الملكات قدرها النقاد جيداً.

ولمروان بن أبي حفصة، العديد من الملاحظات النقدية تتسم بالتعميم والإبهام، لافتقارها إلى التعليل إذ يحكم بأفضلية الشعراء دون أن يذكر السبب ، وقد يتجاوز ذلك إلى إصدار

¹ ابي الفرج الاصفهاني، الأغاني ، مرجع سابق ، ص :300

² المصدر نفسه ،ص:989-990.

أحكام معللة ، «كما في حكمه على كثير عزة بإجادة المديح»¹ ، وكما في دعوته لبشار إلى تغيير لفظة بلفظة في قول بشار بن برد :²

إِذَا قُلْتُ لَهَا جُودِي لَنَا *** حَرَجْتُ بِالصَّمْتِ مِنْ لَا وَنَعَم

أما أبو نواس فقد ترك العديد من النصوص النقدية التي لا تخلو من التعليل كما في نقده لقول الشماخ :³

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتُ رُحْلِي *** عُرَابَةٌ فَاشْرُقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

وكذلك نقده لمسلم بن الوليد اذ يعيب عليه تكرار قوله يقول :⁴

سَلَّتْ فَ سَلَّتْ فَسَلَّ سَلِيلُهَا *** فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلُهَا مَسْلُولاً

ويكشف مسلم بن الوليد من نصوص منسوبة إليه ، عن الاهتمام الجاد لهذا الشاعر بالنقد ونقد مسلم يتمثل في الأسلوب الشعرونتكراره للكلمة الواحدة في بيته ، أكثر من مرة فأحكامه النقدية اتسمت بالتعليل والسببية.

خلال دراستنا لهذه الأحكام النقدية عند الشعراء القدامى نستمتع برون بعض المظاهر النقدية في الشعر العربي القديم والطرق التي إعتدها في الحكم على أشعر العرب.

2- مظاهر النقد في التجربة النقدية للشعراء القدامى

أ - المفاضلة بين الشعراء وتقديم بعضهم على بعض :

فكرة تفضيل شاعر على آخر؛ هي فكرة رئيسية في النقد العربي القديم ، فعندما يكثر الشعراء وتتقارب مستوياتهم في إجادة الشعر ، يتأثر الناقد ويقتن فيصدر حكما نقديا مرجعيا شاعرا على آخر ، أو على قبيلة أو على كل العرب ، وتعود أسباب المفاضلة بين الشعراء

¹ ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء، مرجع سابق ، ص: 540.

² أبي الفرج الاصفهاني، الأغاني ، مرجع سابق ، ص: 202.

³ المزرياني ، مآخذ العلماء على الشعراء ، مرجع سابق ، ص: 95.

⁴ المرجع نفسه ، ص : 444.

إلى العصبية القبيلة ، وإلى التنافس بين الشعراء والقبائل ، ومن أمثلة هذا النقد ما أوردته كتب النقد القديمة ، « وما ورد في كتاب الأغاني من قصة النابغة الذبياني مع لبيد بن ربعة حيث طلب النابغة من لبيد أن يسمعه شيئاً فأنشده قوله :

أَلَمْ تَرَبَّعْ عَلَى الدُّمَنِ الْخَوَالِي *** لِسَلْمَى يَأْمُزِبِ فَالْقِفَالِ

فقال له النابغة :أنتك أشعر بني عامر ، زدني فأنشده:

طَلَّ لِحَوْلَةٍ بِالرَّسِيسِ قَدِيمٌ *** فَيُعَاقِلُ فَلَانُعَمِينَ رُسُومِ

فقال له :أنت أشعر هوزان ، زدني ، فأنشده قوله :

عَفْتُ الدِّيارِ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا *** يُمْنَى تَأْيِدُ غَوَالِهَا فَرَجَامِهَا

فقال له النابغة :إذهب، فأنت أشعر العرب 1

وهكذا نرى أن النابغة سمع فتأثر فأصدر حكماً، بالترجيح والتفضيل للشاعر على غيره من قبيلته ، ثم تفضيله على غيره من قبيلة هوزان على غيره من العرب . ومن نماذج هذه الظاهرة كذلك تقديم النابغة الذبياني للأعشى على غيره من الشعراء أتى بالخنساء بينما نجد شاعر آخر، وهو بن الحارث الغساني، يقدم حسان بن ثابت على النابغة نفسه وعلى علقمة ، ويورد "إبن عبد ربه الأندلسي في كتابه،" العقد الفريد، أنه قيل: «للبيد من أشعر الناس ، قال : صاحب القروح "يريد إمرؤ القيس ."

قيل له : فبعده من ؟

قال : إبن العشرين "يعني طرفة بن العبد "

قيل: وبعده من ، قال :أنا 2

¹ أبي الفرج الأصفهاني ،الأغاني ،مرجع سابق ،ص:274.

² إبن عبدربه الأندلسي ،العقد الفريد ،مرجع سابق ،ص:120.

أي أنه فضل ورجح إمرؤ القيس ، عندما تنازع مع علقمة على أيهما أشعر ، واقتراح علقمة أن تكون لأم جندب حكما ، فقالت لهما : « قولاً شعرا تصفان فيه فرسكما على روي واحد وقافية واحدة ، فأنشدها فحكمت لعلقمة الفحل»¹ فالحكم النقدي عند أم جندب ذاتي إنطباعي ، وموازنة ذات أحكام تأثرية مبنية على إستنتاجات ذاتية ذوقية.

ب- ظاهرة التهذيب والتنقيح

يقصد بها نقد الشاعر ، لنفسه وتهذيبه لقصيدته ، كيف لا والشاعر هو أكثر المختلفين والمهتمين بتجويد شعره حتى يرضى الجمهور والمتلقي للشعر ، ويستقطب إليه أكبر قدر ممكن من الرواة والمعجبين ، من أشهر الشعراء الذين عانوا بأشعارهم ، ووقفوا بأبواب قوافيهم : زهير بن أبي سلمى ، وكعب بن زهير ، والحطيئة ، فقد كان الواحد منهم يمضي عاما كاملا ينقح القصيدة الواحدة ، حتى يصل بها إلى درجة يظن معها أن قصيدته نالت رضاه وإستحسانه ، لهذا سميت هذه القصائد بالحواليات والمحكمات ويقول في ذلك صاحب الخزانة: «كان زهير بن أبي سلمى معروفا بالتنقيح والتهذيب ، وله قصائد تعرف بالحواليات ، فإنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويهذبها وينقحها في أربعة أشهر ،² فهو ينقد نفسه ولا يعرض شعره على أحد ، بل يمعن النظر ويدقق ويمحص ليخرج شعره خاليا من العيوب.

وذا زهير يذكر في شعره ، ويؤكد حاجته الدائمة إلى التقويم قائلا :³

فَمِنْ الْقَوَافِي شَأْنُهَا مِنْ *** إِذَا تَوَى كَعْبٌ وَفَوْرُ

ويبين كعب الصعوبات التي واجهته في الوصول إلى جيد شعره قائلا :⁴

¹ المزرباني ، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء ، مرجع السابق ، ص: 292.

² ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه مرجع سابق ، ص: 123.

³ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص: 98.

⁴ المصدر نفسه ، ص: 78.

الشِعْرُ صَنْعٌ وَطَوِيلٌ سَلْمُهُ *** إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ

فهو يأخذ مدة طويلة، واشتهر بتهذيب وتنقيح شعره ولا يعرض كلماته حتى يحول عليه الحول، ويصف ابن سلام الجمحي المتكلفين الذي يقومون بتنقيح الشعر بأنهم عبيد الشعر، لأنهم لم يذهبوا مذهب المطبوعين.

ج- تتبع أخطاء الشعراء

كان العرب يجيدون الإنصات إلى الأشعار التي كانت تنشد في مجامعهم، وكانوا ينتبهون إلى الأخطاء التي يقع فيها الشعراء ، والغالب في هذه الأخطاء أنها كانت في القافية ، وهو ما يسمى بالأقواء ومعناه إختلاف حركة الروي في القصيدة، من الكسر إلى الضم مثلاً : يقول ابن سلام الجمحي ، أثناء كلامه عن الشعراء الجاهليين في الطبعة الأولى في كتابه ، طبقات فحول الشعراء متحدثاً عن الأقواء : «وهو أن يختلف إعراب القوافي ، فتكون قافية مرفوعة وأخرى منصوبة وهو في شعر الإعراب كثيراً»¹ ؛ أي أن الشعر كان مليئاً بهذه الأخطاء العروضية وإختلاف في حركة الروي.

وعندما قدم النابغة المدينة ، إنتقده الناس فلم يلتفت لقولهم ، فاتفقوا أن يسمعه شعره في مجالس الغناء ، فقالوا للجارية التي تغني وتنشد شعر النابغة ، إذا صرت إلى القافية ، فلما قالت الجارية العداة الأسود ويعقد باليد ، علم النابغة خطأه، وقال النابغة: «قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس» ، أي أن النابغة اكتشف الخطأ الذي إرتكبه وهو الإقواء.

كما «روي المرزباني في الموشح ، أن المسيب بن علس مر بمجلس بني قيس بن ثعلبة ، فأنشدهم قصيدته فقال طرفة وهو صبي يلعب مع الصبيان : إستتوق الجمل ، فقال

¹ ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، مرجع سابق، ص: 67.

المسيب : يا غلام إذهب إن أمك بدهية»¹، وطرفة عاب على المسيب وصفه الجمل بصفة الناقة ، متجه نحو كلمة اخطأ الشاعر ونظمها في المكان المناسب.

3- القيمة النقدية لأحكام الشعراء

بعد تتبعنا لإسهامات الشعراء النقاد في النقد الأدبي القديم، ومصطلحاته، وأتينا بالكم الوفير منها، وليس ما يثبت مكانة آراء الشعراء في النقد، كاحتفال البلاغيين والنقاد بها واستشهادهم منها بما يوافق تصوراتهم ، واتجاهاتهم النقدية والبلاغية ، فحينما نعلم إلى الحديث عن الأحكام النقدية عند الشعراء النقاد في البيئة العربية القديمة ، أو نخصها بالدراسة فإننا نخص في دراسة التراث الذي أتى إلينا، فهذه الأحكام كانت ولا تزال المنبع الأصل التي تستقى منها، وتُعد وجهة الشعراء والنقاد معا ، وهو ما يدفع الشعر العربي إلى ذروة الإبداع ، لذا يلعب الشعراء في مجال الشعر والنقد دورا مهما لا يمكن التغاضي عنه خاصة إذا ما تعلق الأمر بتحسين الإنتاج الشعري وجودته ، وكل هذا يكون حسب قدرة الشاعر وذوقه الأدبي من أبرز الأحكام النقدية التي جرت منذ العصر الجاهلي، مثبتة خاصة اتباع الفطرة والسليقة في إطلاق الأحكام النقدية، وتبرز فيها الذاتية المطلقة وكانت طبيعة هذه الأحكام النقدية للشعراء تتمثل في :

أ- الذوق الفطري

إن طبيعة الأحكام النقدية في العصور القديمة، اتسمت بالذوق الفطري، بعيدا عن الموضوعية ، والتقيّد بالقواعد العلمية والمنهجية في النقد ، فلم تكن للنقد أصول معروفة، ولا مقاييس مقررّة، " بل كانت مجرد لمحات ذوقية، ونظرات شخصية، و «تقوم على ما تلهّمهم به طبائعهم وسليقتهم العربية، وأذواقهم الشاعرة، وحسهم اللغوي الدقيق بلغتهم، وإحاطتهم بأسرارها، ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات وإيحاءات في شتى صورها»²، وحينما نحاول تطبيق هذه السمة الذوقية الفطرية التي على أساسها ، كان الشاعر الناقد يستلهم

¹ المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء مصدر سابق، ص: 93.

² محمد عارف محمود حسين ، النقد الادبي ومقاييسه خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعصر الخلافة الراشدة ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، العدد الثامن والخمسون ، 1403 ، ص: 291.

أحكامه، ويبني نقده عليها حينما نحاول تطبيق ذلك على ما تقدم من لمحات نقدية، نجد ذلك واضحاً تمام الوضوح ، « فنقد النابغة لشعر حسان بن ثابت - والذي أوردناه من قبل - كان مستمداً من فهم النابغة لطبيعة اللغة العربية »¹، ومعرفته التامة بدلالات الألفاظ، وما توحى به أبنية الكلمات من معان وإيحاءات.

ونقد أهل المدينة لشعر النابغة، لما فيه من إقواء، كان نابعاً من فهم العربي لطبيعة الشعر العربي، ولما ينبغي أن يكون عليه من انسجام في الوزن، واتساق في النغم، والأمر الذي يتطلب - ضمن ما تتطلبه قواعد الشعر العربي - وحدة حركة الروى التي تكسب الشعر اتساقاً وانسجاماً، ولذا كان اختلاف حركة الروى - الإقواء - في شعر النابغة مذهباً لروعة الوزن، واتساقه، بل محدثاً لنوع من التناظر في النغم، مما جعله غير متسق ولا منسجم.

ونقد طرفة لشعر المتلمس لوصفه الجمل بصفة الناقة، كان مبنيًا على فهم واع بطبيعة البيئة العربية ومعرفة تامة بالسّمات والصفات، والتي تتميز بها الحيوانات العربية، لا سيما الحيوانات التي كانت مرتبطة بحياة العربي، وكان العربي مرتبطاً بها.

ب- الارتجال في الأحكام

وهذه السمة تتصل اتصالاً مباشراً بالذوق الفطري الذي يعد أساساً هاماً في صدور الأحكام النقدية ، غير أن هذه الظاهرة تعد أثراً من آثار التذوق ، فبعد أن يتذوق الناقد الشعر يصدر حكمه إما ارتجالاً وإما بعد إناة وروية، ودراسة موضوعية لنواحي الجودة أو الرداءة، ولكن السمة الغالبة في النقد القديم هي سمة الارتجال، «والبعد عن الدراسة التفصيلية للقصيدة وتحليلها»²، والذي ينظر في تلك الأقوال المأثورة في النقد الجاهلي، يرى لأول وهلة أنها متسمة بالارتجال، وأنه ليس في أكثر تلك الأحكام ما ينبئ

¹ محمد إبراهيم نصر ،النقد الأدبي في العصر الجاهلي والاسلام ،دار الفكر العربي ، مصر ، 2010 ، ص: 83.

² بدوي طبانة ، دراسات في نقد الأدب العربي ، مرجع سابق ، ص: 61.

عن النظرة الفاحصة، أن الدراسة المعمنة التي ينشأ عنها الرأي الذي يدعمه البرهان، وتؤيده الحجة، ويستعان عليه بالخبرة الواسعة، والعقلية المستنيرة، والتفكير المثقف.

ج- الجزئية

ونقصد بها تناول الناقد لجزئيات من الجوانب الفنية للقصيدة، كجانب ألفاظ أو جانب المعاني، أو جانب الوزن، مثلاً « دون تناوله للقصيدة كلها تناولاً متكاملاً يتجه إلى ذلك النقد الحديث »¹، فيتناول لفظة، أو بيت من مجموع أبيات فيصفها - مثلاً - بالسلاسة أو الجزالة، أو يتناول معنى أو معاني وردت في القصيدة، فيسمها بالصحة أو الخطأ، أو بالوضوح أو الغموض، وخير ما يمثل ذلك مما قدمنا من أمثلة : نقد طرفة لشعر المتلمس، فقد استهدف فيه طرفة جانب المعنى، ونظر فيه فوجد خطأ.

ومنه - أيضاً - نقد أهل المدينة لشعر النابغة، فهو نقد استهدف جانب الوزن - أو الشكل الموسيقي - ورأى فيه نشازاً في الوزن، حيث اختلفت حركة الروي في الأبيات فأحدثت هذا النشاز في الوزن، والتنافر في النغم، مما آذى السمع، وأذهب بشيء غير يسير من روعة الوزن، وكذلك نقد النابغة لبيت حسان السابق الذكر، كله منصرف إلى ألفاظ وكلمات دون تناول النقد للنص كعمل فني متكامل.

والملاحظ أن النقد القديم الجاهلي أما أن يتعرض للشعر أو للشاعر، هذان هما الميدانان اللذان جال فيهما النقد جولات خفيفة في العصر القديم : الحكم على الشعر والتتويه بمكانة الشعراء، فأما غير ذلك من البحث في طريقة الشاعر، أو مذهبه الأدبي، أو صلة الشعر بالحياة الاجتماعية، فذلك ما لم يعرفه العصر القديم.

¹ سعد عبد المقصود ظلام ، في النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص: 31.

د - العموم

ونعني به أن يطلق الناقد - في أحيان كثيرة - أحكامه، ويرسل آراءه، دون أن يذكر سبباً، أو يردف علة ، وخير مثل لذلك قول الحطيئة - « وقد سئل عن أشعر العرب : - أشعر العرب الذي يقول:

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ * * * يَفْرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يَشْتُمُ

يقصد زهيراً، ثم سئل : ثم من؟ قال : الذي يقول:

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ * * * وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ¹

يعني عبيد الأبرص ومن ذلك حكمهم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة عليا في الجودة بالموازنة بغيرها، كقولهم في قصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري التي مطلعها²:

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا * * * فَوَصَّلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ

قولهم عنها أنها من خير القصائد ودعواها اليتيمة.

إن لهذه الأحكام النقدية قيمة فذة، من حيث أنها تصور بصدق حياة العمل الأدبي وتراقب ميلاده وتعطيه تاوصفة السريعة لهذا الميلاد، والذي غالبا ما يكون مشحونا بدلالات مهمة ،و يزداد الأمر أهمية إذا ما قام بهذه المهمة (مهمة النقد)، القيمة الحقيقية لهذه الأحكام والتي هي إفراز طبيعي لا غبار عليه لمرحلة كان فيها الإرتجال بادعاي لا يختلَف عنه في النقد.

¹ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، مرجع سابق ، ص: 330 - 331.

² المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي ، تح : أحمد محمد شاكر، دار المعارف ، مصر، ط 6 ، 1942 ،

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه الرحلة الإستكشافية في تراثنا العربي القديم مع موضوع المذكرة الموسوم :
الشاعر ناقدًا في بيئته العربية القديمة ، دراسة في أحكامه النقدية وقيمتها ، نختم هذه الدراسة
برصد أهم ما تمخض من نتائج وملاحظات نفصح عنها في النقاط التالية :

- الشاعر هو الناقد الأول وصاحب النظرة الثاقبة والرأي السديد للحكم على النتاج الشعري.
- دور المجالس الأدبية العامة منها والخاصة كان لها صدى بين جمهور الشاعر الناقد والمتلقين كما لها دور فعال في تنمية الذوق النقدي لدى الشاعر الناقد.
- بعد الوقفات المفعمّة بالتغلغل في التجربة النقدية للشعراء القدامى منذ عصر ما قبل الإسلام إلى العصر العباسي ، أفضت هذه الدراسة بالخروج ببعض الرؤى والأحكام النقدية التي يقتضي أثرها على النتاج الأدبي ويعيد تثمين النص على أسس جديدة.
- ظهور الملامح النقدية الإنطباعية أكدت أن العربية في تلك العصور كانت تتمتع بحياة نقدية إنطباعية تأثرية كان محورها نص الشعر العربي القديم.
- اتسمت التجربة النقدية عند الشعراء القدامى بالذوق الفطري التأثري ، أحكامه بعيدة عن التعليل ، وعد معيار الذوق الشخصي الأساس في حكم الشعراء النقاد.
- الشاعر هو الناقد الأول له القدرة والتأهيل للتجربة النقدية لشعره ويتعدى للنظر في شعر غيره لما يملكه من سليقة وثقافة لغوية كبيرة.
- إبراز القيمة الحقيقية للأحكام النقدية التي هي إفراز طبيعي لا غبار عليه لمرحلة كان فيها الارتجال في الإبداع لا يختلف عنه في النقد.
- كانت التجارب النقدية للشعراء في مختلف العصور أثرا فعالا لا يقل أهمية في تطور الشعر ونقده فضلا عن الأسواق ولقاءات الشعراء.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المعاجم :

1. ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، لبنان ، ط3 ، 1414 ، ج4.
2. ياقوت الحموي ، معجم الأديباء، تح: إحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، ط1 ، 1993.

المصادر والمراجع:

3. ديوان عبيد بن الأبرص ، شرح أحمد غدره، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، دط، 1994، دج.
4. ابن عبدربه الأندلسي ، العقد الفريد ، تح: محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 98، ج8.
5. ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، تح :محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، لبنان ، دط ، 1996.
6. ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، دار النهضة العربية، لبنان ، ط3 ، 1986.
7. ابو الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تح: محمد محي الدين بن حميد ، دار الجيل ، القاهرة ، ط5 ، 1981، ج6.
8. ابو العباس بن يزيد المبرد : تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار النهضة ، مصر ، ط2 ، 1981.
9. أبو القاسم الحسن الآمدي ، الموازنة بين الطائيين، تح: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ط1 ، 1961.
10. ابو بكر محمد الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1971.
11. ابو ربيع سليمان بن موسى الملاعب الاندلسي ، تح محمد كمال الدين عز الدين ، علي عالم الكتب ، بيروت، ط1 ، 1417.

12. أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر ، تح: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط1، 1983، ج4.
13. أبي الفرج الاصفهاني ، الأغاني ، تح: إحسان عباس وآخرون ، دار صادر، لبنان، ط3، 2008، ج25.
14. إحسان النص ، إختبارات من كتاب الأغاني لأبي فرج الاصفهاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2، 1980.
15. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة لبنان ، ط4، 1983.
16. أحمد الأمير الشنقيطي ، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط4 ، 2006.
17. أحمد محمد بدوي ، أسس النقد عند العرب ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1996.
18. الأمين عز الدين ، طلائع النقد الأدبي، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، 1970.
19. بدوى طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، ط1، 1965، ج1.
20. الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط7، 1998.
21. الحسن بن هانئ الحكمي ، أبو نواس ، ديوان أبو نواس ، تح : أحمد عبد المجيد الغزالي ، لبنان، ط1، دسنة.
22. رفعت زكي محمود عفيفي ، من مظاهر النقد الأدبي عند العرب ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة، ط1 ، 1990.
23. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد العربي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، المكتبة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1981.
24. ظلام سعد عبد المقصود في النقد الأدبي، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 1975.
25. عبد الجبار المطلبي : الشعراء نقادا دراسات في الادب الإسلامي والأموي ، دار الشؤون الثقافية العامة العراق، ط1، 1986، دج.

26. عبد العزيز عتيق ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،ط4، 1986.
27. عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعارفي ابو محمد،السيرة النبوية لابن هشام،تح عبد الله الرؤوف سعد،دار الجيل،بيروت،دن،1411،ج3.
28. العسكري ، الصناعتين ،تح :علي بلاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ،المكتبة العنصرية ،لبنان ،ط1، 1952.
29. عيسى علي العاكوب ، التفكير النقدي عند العرب ، دار الفكر المعاصر ،دمشق ، سوريا ، ط ، 1963.
30. محمد إبراهيم نصر ،النقد الأدبي في العصر الجاهلي والاسلام ،دار الفكر العربي ، مصر ، 2010.
31. محمد بن يوسف صالح الشامي ،سبل الهدى والرشاد ،في سير خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في مبدأ المعاذ ،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1 1993،
32. محمد زغلول سلام ،تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع هجري ، منشأة المعارف ،مصر ، ط 1 ، 2002 ، ج1.
33. مصطفى عبد الرحمان ابراهيم ، في النقد الأدبي القديم عند العرب ،مكة المكرمة للطباعة ، مصر ، ط 1 ، 1998.
34. المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي ، تح : أحمد محمد شاكر ،دار المعارف ، مصر ، ط 6 ، 1942.
35. يوسف عطا الطريفي ،شعراء العرب في العصر الجاهلي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن،ط2، 2009، ج 1.

المجلات:

36. محمد عارف محمود حسين ، النقد الادبي ومقاييسه خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعصر الخلافة الراشدة ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، العدد الثامن والخمسون، 1403.

الرسائل والأطروحات :

37. ليلى عبد الرحمان الحاج قاسم ، الذوق الأدبي في النقد القديم ، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، السعودية، ط 1 ، 1984.

المحاضرات :

38. عالية علي ، محاضرات في مقياس النقد العربي القديم ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ط 1 ، 2004.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

شكر

وعرفان.....

الإهداء.....

مقدمة.....أ.

الفصل الأول:

مستويات النقد القديم وبرز ظاهرة الشعراء النقاد

1- مستويات النقد القديم:.....8

أ- المستوى الأول: النقد الذاتي التأثري.....8

ب- المستوى الثاني : النقد الخاص.....10

ج- المستوى الثالث : النقد العام.....11

2- الشعراء النقاد.....12

أ- ظاهرة الشعراء النقاد في العصر الجاهلي.....14

ب- في صدر الاسلام:.....15

ج - في العصر الأموي:.....16

د- في العصر العباسي :.....18

3- سلطة الشاعر على النقد.....20

الفصل الثاني

الأحكام النقدية عند الشعراء النقاد وقيمتها

1- الاحكام النقدية عندالشعراء النقاد.....26

أ- الأحكام النقدية للشعراء في العصر الجاهلي	26
ب- في صدر الاسلام.....	31
ج- العصر الأموي.....	36
د-العصر العباسي	43
2- مظاهر النقد في التجربة النقدية للشعراء القدامى	45
أ - المفاضلة بين الشعراء وتقديم بعضهم على بعض:	45
ب- ظاهرة التهذيب والتتقيح	47
ج- تتبع أخطاء الشعراء	48
3- القديمة النقدية لأحكام الشعراء.....	49
ب- الارتجال في الأحكام.....	50
ج- الجزئية	51
د- العموم	52
خاتمة:	54
قائمة المصادر والمراجع:	56

ملخص:

تخذ المشتغلون على النص الشعري قديما وسائل مختلفة لتحقيق غايتهم (النقد الأدبي)، فنجدهم مثلا اتخذوا من الأسواق والمجالس الأدبية وسائل لممارسة نقد الشعر خاصة، ومن هذه الوسائل نجد أيضا الشعر الذي جعل منه بعض الشعراء وسيلة لإصدار أحكامهم النقدية حول شعر غيرهم، وإن اختلف القدامى في الأخذ بنقد الشعراء لشعر غيرهم، وهذا ما تروم الدراسة عرضه من خلال تقصي بيان المستويات التي تبلورت منها هذه الظاهرة وبيانها على مر العصور الأدبية القديمة وآراء بعض أعلام نقد الشعر في نقد الشعراء، ثم عرض نماذج من التجربة النقدية للشعراء ، وتحليل أحكامها وبيان قيمتها النقدية.

Abstract

The study focuses on how literary critics in the past used various methods to achieve their goal of poetry criticism. They used literary markets and councils to practice poetry criticism. Some poets used poetry as a means of issuing their critical judgments about the poetry of others. The study intends to investigate the levels from which this phenomenon crystallized and its statement throughout the ancient literary ages and the opinions of some prominent poets in poetry criticism in the criticism of poets. It also presents examples of poets' critical experience, analyzes its rulings, and shows their value.